مسرحية

معجزة عاديّة

يفغيني شفارتس

ترجمة آنّا عكاش

مسرحيات عالمية ٨

الهيئة العامة السورية للكتاب

معجزة عادية

تصميم الغلاف

فادي العساف

الهيئة العامة السورية للكتاب

معجزة عادية

مسرحية عالمية

تأليف : يفغيني شفارتس

ترجمة: آنا عكاش

منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب

وزارة الثقافة - دمشق ٢٠١٤م

العنوان الأصلي للكتاب:

Обыкновенное чудо

Евгений Швартц

Санкт- Петербург

СЗКЭО

КРИСТАЛЛ

2003

معجـزة عاديــة : مــسرحية عالميــة / تــأليف يفغــيني شفارتس؛ ترجمة آنا عكاش .- دمشق : الهيئة العامـة السورية للكتاب، ٢٠١٤م .- ١٥٢ ص؛ ٢٠ سم.

(مسرحيات عالمية؛ ٨)

١- ٨٩١,٧٢ ش ف ا م ٢-العنوان ٣-شفارتس
٤- عكاش ٥-السلسلة

مكتبة الأسد

مسرحيات عالمية

«٨»

تقديم

لم يدخل يفغيني شفارتس (١٨٩٦-١٩٥٨) إلى حقل الأدب مباشرة، فقد قضى طفولته في «مايكوب»، وبعد إنهائه مرحلة الدراسة الثانوية عام ١٩١٤ سجل في كلية الحقوق التابعة لجامعة موسكو. لكن الطبيعة الإبداعية لكاتب المستقبل كانت تتعطش لنوع آخر من العمل، فالتفت إلى المسرح، لكن مسيرته المهنية كممثل في المحترف المسرحي في «روستوفنادونو» لم تستمر طويلاً (من ١٩١٧ حتى ١٩٢١). انتقل بعدها إلى «بيتروغراد» وبدأ نشاطه الأدبي، فعمل بداية سكرتيراً لدى كورنيتشوكوفسكي، ومن ثم شارك في تحرير مجلتي الأطفال: «تشيج» و «يوج».

في عام ١٩٢٣ ظهرت في جريدة «كوتشيغاركا» الصادرة في مدينة «باخموت»، أول مقالة هزلية للكاتب إضافة إلى أشعار ساخرة. وفي الفترة نفسها أنشأ شفارتس مجلة «زابوي».

ولم يـصدر أول كتـاب مـستقل لـشفارتس إلا في عـام ١٩٢٥، وكـان مجموعـة شـعرية بعنـوان «حكايـة البالالايكـا القديمـة». وفي الفترة نفسها خَصَّ الكاتب الأطفال بمسرحيتين بعنوان «تحت أشجار الغابة» و"الكنز».

لكـن قمـة إبداعـه دون شـك تـتلخص في إعـداده لنـصوص مسرحية عن قـصص أندرسـن الخياليـة للأطفـال، كـ «الأمـيرة وراعـي الخنــازير»، «ذات القبعــة الحمــراء»، «زولوشــكا أو سندريللا»، «ملكة الثلج» التي كبرت عليها أجيال من الأطفال.

بفضل ريشة شفارتس يصير الأبطال أكثر حياة وينسجمون عضوياً مـع العـالم الـواقعي. حيث يـدمج المؤلـف بـين الـشعرية الخرافية والتفاصيل اليومية بمهارة، فيتقبّل المشاهد أو القارئ هؤلاء الأبطال دون أن يشك للحظة واحدة بواقعيتهم.

تـتغير عنـده الأنمـاط الخرافيـة المألوفـة، وتنـسجم جميعهـا مـع الظـروف الجديـدة لحيـاة الحكايـة. ويعـود الفـضل إلى شفارتس في تحديث إعادة صياغة الحكايات الخرافية بطريقة إبداعية تنبع من الواقع.

لا أحـد يعـرف إن كانـت ثلاثيـة شـفارتس الرائعـة («الملـك العاري»، «الظل»، «التنين») ردة فعل على وصول الفاشية إلى

السلطة، أو أنها مجرد متابعة لصياغة حكايات أندرسن في إعداد مسرحي. بالعموم ليس مهماً أن نعرف الحافز لكتابة هذه المسرحيات، لكن المؤكد هو أنها تحتل مكانة مهمة بين أفضل الأعمال المعادية للفاشية والديكتاتورية.

مع بداية الحرب العالمية الثانية تحول يفغيني شفارتس إلى ناشط ضد الفاشية. وفي عام ١٩٤١ صدرت مسرحيته «تحت زيزفون برلين» التي كتبها بالتعاون مع ميخائيل زوشينكو. وكان يقدم برنامجاً إذاعياً وثائقياً كتب له الكثير من المقالات والقصص والأغاني والأشعار.

في عام ١٩٤٤ بدأ شفارتس العمل على مخطوط خاص جداً يشبه الاعترافات، استغرق في كتابته عشر سنوات. تغير العنوان عدة مرات: «الدب»، «الساحر المرح»، «الساحر المطيع»، «الملتحي المجنون»، «الساحر العاق». إلى أن ظهر أخيراً عنوان أنيق وبسيط: «معجزة عادية». عرض العمل في عدد من مسارح البلاد، وبنجاح لا مثيل له في كل مرة. اتهم بعض النقاد الكاتب بعدم التسييس، فأبطاله بعيدون جداً عن أي نوع من الأفكار السياسية. وفي هذا يعود الفضل إلى الكاتب.

حقائق أبدية، بعيدة عن السياسة، وخارج الزمن. إنها تلك القوانين التي يجب أن تتطور وفقها العلاقات الإنسانية

الطبيعية المتبادلة، حيث ينتصر الخير دائماً، وتسود الحقيقة، أما الأشرار فينالون جزاءهم.

إن انتصار هذه القوانين هو هدف أي مجتمع طبيعي، والحفاظ عليها معيارٌ حياتي، ومن ينشرها جدير بالمجد. ويفغيني شفارتس هو أحد هؤلاء.

أحب التنويه إلى أن هذا النص هو واحد من ثلاثة نصوص مجموعة في كتاب واحد بعنوان: «معجزة عادية - نصوص مسرحية ١٩٣٧-١٩٥٦»، ويتألف - بالإضافة إلى «معجزة عادية» - من نصين آخرين هما «ذات القبعة الحمراء» و«زولوشكا».

وقد ارتأيت تقديم هذا النص على حدة، كونه أكثر تعقيداً من النصين الآخرين بدلالاته المخفية بين السطور، ولأنه - رغم شكله الذي يبدو — ظاهرياً - موجهاً للطفل - يخاطب الكبار حاملاً إليهم رسائل مخفية تتعلق بالحب والوجود.

آنا عكاش

معجزة عادية

حكاية خرافية في ثلاثة فصول

مهداة لـ:

يكاتيرينا إيفانوفنا شفارتس

الهيئة العامة السورية للكتاب

الشخصيات

سيد البيت

سيدة البيت

الدب

الملك

الأميرة

الوزير الإداري

الوزير الأول

سيدة بلاط

أورينتيا

آماندا

صاحب الخان

الصياد

تلميذ الصياد

الجلاد

استهلال

يظهر أمام الستارة شخص يخاطب المتفرجين بتفكّر وصوت خفيض:

- «معجزة عادية»- يا له من عنوان غريب! إن كانت معجزة، فمعنى ذلك أنها ليست عادية! وإن كانت عادية، فهي بالتالي ليست معجزة.

حل هذا اللغز أن القصة هنا ستدور عن الحب.

شاب وفتاة يغرمان ببعضهما، وهذا أمر عادي. يتخاصمان، وهذا ليس نادراً أيضاً. يكادان يموتان بسبب الحب. وأخيراً تسمو قوة مشاعرهما إلى مستوىً عال لتبدأ بصنع معجزات حقيقية، وهذا أمر غريب وعادي في نفس الوقت.

يمكن التحدث عن الحب وغناء الأغاني فيه، أما نحن فسنروي عنه حكاية خرافية.

في الحكاية الخرافية، يصطف العادي والعجيب جنباً إلى جنب بطريقة مريحة ويُفهمان بسهولة، لو نظرنا إلى الحكاية

الخرافية على أنها حكاية خرافية. كما في الطفولة ألا نبحث فيها عن معنى خفي؟ فالحكاية الخرافية لا تروى لِنكتُم، بل لِبَوح، أن نقول بكامل قوتنا وبملء صوتنا ما نفكر فيه.

من بين شخصيات حكايتنا الخرافية، الأكثر قرباً من «العادي»، ستتعرفون على أشخاص غالباً ما تضطرون لمصادفتهم. الملك مثلاً. ستتعرفون فيه بسهولة على مستبد وطاغية ضئيل الشأن، يعرف كيف يبرر بمهارة مساوئه بمفاهيم تستند إلى المبادئ. أو بقصور عضلة القلب. أو بالمرض النفسي. وأحياناً بالوراثة. جعلناه ملكاً في الحكاية كي تصل ملامح شخصيته إلى حدها الطبيعي. ستتعرفون أيضاً على الوزير الإداري، وهو مموّن ماهر. حائز بجدارة على رتبة شرف في الصيد. وبعض الأمور الأخرى.

ولكن أبطال الحكاية الخرافية الأكثر شبهاً بالــ «معجزة»، محرومون من الملامح الحياتية التي تميز أيامنا الحالية. وهكذا هم الساحر وزوجته، والأميرة، والدب.

كيف يستطيع أشخاص مختلفون كهؤلاء أن يتعايشوا في نفس الحكاية؟ ببساطة شديدة، كما في الحياة.

وتبدأ حكايتنا الخرافية ببساطة. أحد السحرة يتزوج، يستقر، ويقرر الانصراف للاهتمام بالأشغال المنزلية. لكن مهما أطعمتَ

الساحر يظل منجذباً دائماً للمعجزات، للتحولات والمغامرات العجيبة. وها قد تورط في قصة حب الشابين اللذين تحدثتُ عنهما في البداية. وتشربك كل شيء وتلخبط، وأخيراً انحلّ بطريقة مفاجئة لدرجة أن الساحر نفسه، المعتاد على المعجزات، وقف معقود اليدين من شدة الاستغراب.

في نهاية الحكاية ستعرفون إن كان الأمر بالنسبة للعاشقين قد انتهى نهاية حزينة أم سعيدة.

(يختفي).

الهيئة العامة السورية للكتاب

الفصل الأول

عزبة في جبال الكاربات. غرفة كبيرة، تلمع نظافةً. على الموقد إبريق قهوة معدني يلمع لدرجة تغشي الأبصار.شخص ملتح، فارع الطول، عريض الكتفين، يكنس الغرفة ويكلم نفسه بأعلى صوته. إنه سيد البيت.

سيد البيت: هكذا! ممتاز ! أعمل وأعمل كما يفترض بالسيد، سيمتدحني كل من يشاهد عملي، كل شيء لدي كما لدى البشر. لا أغني، لا أرقص، لا أتشقلب كالحيوان البري. لا يجب على سيد عزبة رائعة في الجبال أن يخور كالثور، لا، لا! أعمل من دون أي تكلّف.. آه! ***(يسترق السمع، يغطي وجهه بيديه.)*** إنها قادمة! هي! هي! إنها خطواتها.. رغم أنني متزوج منذ خمسة عشر عاماً لكنني ما أزال مغرماً بزوجتي كالمراهق، أقسم على ذلك! قادمة! هي!

(يضحك بخجل.) يا لها من سخافات، قلبي يخفق حتى إنني أشعر بالألم.. مرحباً يا زوجتي!

تدخل سيدة البيت، ما تزال شابة، امرأة جذّابة جداً.

مرحباً يا زوجتي، مرحباً! لم نفترق منذ مدة طويلة، منذ ساعة فقط، لكنني سعيد بحضورك، وكأننا لم نلتق منذ عام، لهذه الدرجة أحبك.. ***(يفزع.)*** ما بك؟ من تجرأ على الإساءة إليك؟

سيدة البيت: أنت!

سيد البيت : لا يعقل! يا لي من فظّ! امرأة مسكينة، تقف حزينة هكذا، تهز برأسها.. يا لها من مصيبة! ماذا فعلتُ أنا اللعين؟

سيدة البيت: فكّر.

سيد البيت : لا أستطيع التفكير.. أخبريني، لا تعذّبيني..

سيدة البيت: ماذا فَعَلتَ صباح اليوم في قن الدجاج؟

سيد البيت ***(يضحك)***: فعلت ذلك بدافع الحب!

سيدة البيت: أشكرك على مثل هذا الحب. أفتح القن، وفجأة - يا مرحبا! لصيصاني جميعها أربعة أرجل..

سيد البيت : وما السيئ في هذا؟

سيدة البيت: وللدجاجة شاربان كشاربي الجندي.

سيد البيت :هاهاها!

سيدة البيت: من الذي وعدني بإصلاح سلوكه؟ من الذي وعدني أن نعيش كالآخرين؟

سيد البيت : عزيزتي، غاليتي سامحيني! ماذا أفعل.. فأنا ساحر بطبيعة الحال.

سيدة البيت: وماذا في ذلك.

سيد البيت : كان الصباح مفرحاً، السماء صافية، ولم أستطع المقاومة، إلى هذه الدرجة كان كل شيء جيداً. فرغبت أن أشاغب قليلاً..

سيدة البيت: إذاً كان عليك أن تقوم بشيء مفيد للعزبة. ها قد أحضروا الرمل لنرش به الطرقات. كنت تستطيع تحويله إلى سكّر.

سيد البيت : وهل يسمى ذلك شغباً؟

سيدة البيت: أو تلك الحجارة الموضوعة قرب المخزن، كنت تستطيع أن تحوّلها إلى جبن.

سيد البيت : غير مضحك.

سيدة البيت: ماذا أفعل بك؟ مهما حاولتُ وحاولت، تظل ذلك الصياد البري، الساحر الجبلي الملتحي المجنون.

سيد البيت : أنا أبذل جهدي.

سيدة البيت: كل شيء يسير جيداً كما لدى جميع البشر وفجأة- رعد، برق، معجزات، تحوّلات، قصص خرافية، وأساطير مختلفة.. مسكين.. (***تقبّله.***)هيا اذهب يا عزيزي!

سيد البيت : إلى أين؟

سيدة البيت: إلى القن.

سيد البيت : لماذا؟

سيدة البيت: لتصلح ما فعلتَه هناك.

سيد البيت : لا أستطيع.

سيدة البيت: أرجوك!

سيد البيت : لا أستطيع. فأنت نفسك تعرفين جيداً سنة الكون. تشاغب أحياناً، ومن ثم تصلح كل شيء. وفي أحيان أخرى لا يوجد طريق للعودة! فقد سبق أن ضربتُ أولئك الصيصان بالعصا السحرية، ودوّرتهم في زوبعة، وصعقتهم سبع مرات بالصاعقة لكن عبثاً! وهذا يعني أنه لا يمكن إصلاح ما حدث.

سيدة البيت: حسناً، لا مخرج أمامنا إذاً .. سأحلق شارب الدجاجة كل يوم، أما الصيصان فلن أنظر إليها. والآن دعنا ننتقل إلى الأمر الأكثر أهمية. من تنتظر؟

سيد البيت : لا أحد.

سيدة البيت: انظر في عينيّ.

سيد البيت : ها أنا أنظر.

سيدة البيت: قل الحقيقة، ماذا سيحدث؟ من الضيوف الذين سنستقبلهم اليوم؟ بشر؟ أم أن الأشباح ستمر لتلعب النرد معك؟ لا تخف، أخبرني. سأكون سعيدة إن أتى لزيارتنا شبح راهبة شابة. فقد وعدتني أن تحضر لي من العالم الآخر تفصيل قميص ذا كمين عريضين، كان دارجاً منذ ٣٠٠ عام. هذا التفصيل عاد دارجاً مرة أخرى. هل ستأتي راهبة؟

سيد البيت : لا.

سيدة البيت: مؤسف. إذاً لن يأتي أحد؟ لا؟ أتعتقد حقاً أنك تستطيع إخفاء الحقيقة عن زوجتك؟ الأحرى أنك ستخدع نفسك قبل أن تخدعني. انظر، انظر فقد أصبحت أذناك حمراوَين، والشرر يتطاير من عينيك..

سيد البيت: غير صحيح. أين؟

سيدة البيت: ها هو، ها هو! وهو يسطع! لا تخف، اعترف. حسناً؟ دفعة واحدة.

سيد البيت : حسناً! سيزورنا ضيوف اليوم. سامحيني، لكنني أحاول أن أبذل جهدي. أصبحت بيتوتياً. لكن روحي تطلب شيئاً.. شيئاً سحرياً ما. لا تستائي.

سيدة البيت: كنت أعرف بمن أتزوج.

سيد البيت : سيأتينا، سيأتينا ضيوف في أية لحظة الآن.

سيدة البيت: بسرعة أصلح قبّتك. سوِّ أكمامك.

سيد البيت *(يضحك)*: أتسمعين، أتسمعين؟ إنه قادم!

يقترب صوت حوافر جواد .

إنه هو، إنه هو!

سيدة البيت: من؟

سيد البيت : ذاك الشاب نفسه الذي ستبدأ بسببه أحداث مذهلة لدينا هنا. يا للفرحة. كم هذا سار.

سيدة البيت:هل هو شاب عادي؟

سيد البيت : أجل، أجل.

سيدة البيت: هذا جيد، فالقهوة غلت للتو.

طرق الباب .

سيد البيت: ادخل، ادخل، نحن بانتظارك منذ زمن. سعيد جداً.

يدخل شاب . يلبس بأناقة . متواضع، بسيط، متفكر . ينحني بصمت مُحيِّياً .

(يعانقه) أهلاً، أهلاً بك يا بني.

سيدة البيت: تفضّل اجلس إلى الطاولة واشرب القهوة، تفضل. ما اسمك يا بني؟

الشاب : دبّ.

سيدة البيت: ماذا قلت؟

الشاب : دبّ.

سيدة البيت: يا له من لقب غير ملائم.

الشاب : إنه ليس لقباً. أنا في حقيقة الأمر دب.

سيدة البيت: لا، ما هذا الكلام.. لماذا؟ أنت تتحرك برشاقة بالغة، وتتكلم بطراوة.

الشاب : في حقيقة الأمر.. حوّلني زوجك منذ سبع سنوات إلى إنسان. وفعل ذلك بطريقة رائعة. إن زوجك ساحر رائع. يداه من ذهب يا سيدة.

سيد البيت : شكراً يا بني. ***(يصافح الدب)***

سيدة البيت: هل هذا صحيح؟

سيد البيت : حدث هذا منذ زمن طويل يا عزيزتي. منذ سبع سنوات.

سيدة البيت: ولِمَ لم تعترف لي بذلك على الفور؟

سيد البيت : نسيت. ببساطة نسيت، وهذا كل الأمر. في الواقع، كنت أمشي في الغابة، فرأيت دباً شاباً. ما يزال فتياً. رأسه ذو جبهة كبيرة، عيناه ذكيتان. بدأنا نتكلم، وكلمة إثر كلمة، أعجبني. قطفت غصن جوز، وصنعت منه عصاً سحرية- واحد، اثنان، ثلاثة- و.. لا أفهم ما الداعي لغضبك؟ كان الطقس جيداً، والسماء صافية..

سيدة البيت: اسكت! لا أطيق حين يعذبون الحيوانات على سبيل التسلية الذاتية. يجبرون الفيل على الرقص في تنورة من الشاش(١)، يضعون العندليب في قفص، يعلمون النمر كيف يتأرجح على الأرجوحة. أتعاني من صعوبات يا بني؟

الدب : أجل أيتها السيدة. ليس سهلاً أبداً أن أكون إنساناً حقيقياً.

سيدة البيت: يا للصبي المسكين! ***(لزوجها)*** ما بك تضحك يا عديم القلب؟

سيد البيت : أفرح. أتأمل عملي بإعجاب. يستطيع الإنسان صنع تمثال من حجر ميت ثم يفخر به إن كان عمله

---

(١) تنورة باليه.

ناجحاً. لكن حين تصنع من شيء حي شيئاً أكثر حياة! هذا هو العمل الإبداعي!

سيدة البيت: عن أي عمل تتحدث! إنه مجرد شغب ولا شيء أكثر من ذلك. اعذرني يا بني فقد أخفى عني حقيقتك، لذلك قدمت السكر مع القهوة.

الدب : إنها لفتة لطيفة منك. لماذا تعتذرين مني؟

سيدة البيت:لا بد أنك تحب العسل..

الدب : لا، أنا لا أطيق رؤيته. فهو يوقظ فيّ الذكريات.

سيدة البيت: إن كنت تحبني فحوّله إلى دب على الفور، حالاً. أطلق سراحه.

سيد البيت : عزيزتي، عزيزتي، سيكون كل شيء على ما يرام. فقد أتى لزيارتنا ليعود دباً كما كان.

سيدة البيت: حقاً؟ حسناً، أنا سعيدة جداً. هل ستحوّله هنا؟ أأخرج من الغرفة؟

الدب : لا تتسرعي أيتها السيدة العزيزة. لن يحدث هذا بهذه السرعة للأسف. سأعود دباً كما كنت فقط عندما تقع أميرة في حبي وتقبّلني.

سيدة البيت: متى، متى؟ أعد ما قلت.

الدب : حين تقع في حبي أول أميرة أصادفها وتقبّلني، سأتحول على الفور إلى دب وأهرب إلى جبالي الحبيبة.

سيدة البيت: يا إلهي، كم هذا محزن.

سيد البيت : ما هذا الكلام! يبدو أنني لم أتمكن من إرضائك مجدداً.. لماذا؟

سيدة البيت: ألم تفكرا بالأميرة؟

سيد البيت : سخافات. الوقوع في الحب مفيد.

سيدة البيت: ستقبّل الشابة المسكينة العاشقة الشاب وهو سيتحول فجأة إلى حيوان بري؟

سيد البيت : إنه أمر عادي يا زوجتي.

سيدة البيت: لكنه سيهرب إلى الغابة فيما بعد.

سيد البيت : وهذا يحدث أيضاً.

سيدة البيت: وستتخلى عن الشابة العاشقة يا بني؟

الدب : حين تكتشف أنني دب ستتوقف عن حبي على الفور أيتها السيدة.

سيدة البيت: ماذا تعرف عن الحب أيها الصبي! ***(تقود زوجها إلى ركن. بهدوء.)*** لا أريد أن أخيف الصبي، لكنك باشرت لعبة خطرة جداً يا زوجي. كنت تخضّ

الزبدة بالزلازل، تدق المسامير بالصواعق، كانت العاصفة تحضر لنا المفروشات، الأواني، المرايا وأزرار الصدف من المدينة. لقد اعتدت على كل ذلك لكنني أشعر بالخوف الآن.

سيد البيت : ماذا؟

سيدة البيت: العاصفة، الزلزال والصواعق كلها أمور بسيطة. أما الآن فسنضطر للتعامل مع البشر. وإضافة إلى ذلك مع بشر شباب،وعشاق. أشعر أنه سيحدث حتماً ذاك الذي لم نكن نتوقع حدوثه أبداً.

سيد البيت : وما الذي يمكن أن يحدث؟ ألّا تقع الأميرة في حبه؟ سخافات! انظري إليه كم هو جميل..

سيدة البيت: وإذا.. وإن يكُنْ.

تصدح الأبواق

سيد البيت : تأخر الوقت على التفكير بالأمر يا عزيزتي. فقد تدبرت الأمر بحيث ستراود أحد الملوك الذين يمرون على الطريق الكبير، رغبة ملحّة في أن يلفّ إلى عزبتنا فجأة.

تصدح الأبواق.

وها هو قادم إلى هنا مع حاشيته، وزرائه والأميرة، ابنته الوحيدة. اركض يا بني. سنستقبلهم بأنفسنا. وسأنادي عليك حين يستلزم الأمر.

يهرب الدب.

سيدة البيت: ولن تخجل من النظر في عينيّ الملك؟

سيد البيت : أبداً! فبصراحة، أنا لا أطيق الملوك!

سيدة البيت: لكنه ضيفك.

سيد البيت : وماذا في ذلك! هناك جلاد ضمن حاشيته، وبين أمتعته توجد مقصلة.

سيدة البيت: ربما هذه مجرد إشاعات؟

سيد البيت : سترين. سيدخل الآن شخص وقح وفظّ. سيتصرف بشكل شائن، يلقي الأوامر ويطالب.

سيدة البيت: وربما لن يحدث هذا. عندها سنذوب من الخجل.

سيد البيت : سترين.

طرق على الباب.

تفضّل.

يدخل الملك.

الملك : مرحباً يا أعزائي! أنا ملك، يا أعزائي!

سيد البيت : طاب يومك يا صاحب الجلالة.

الملك : لا أعرف لماذا، لكن عزبتك أعجبتني كثيراً. كنا نسافر على الطريق، فراودتني رغبة شديدة في الالتفاف نحو الجبال، والصعود إليك. اسمح لنا من فضلك بقضاء عدة أيام في ضيافتك.

سيد البيت : يا إلهي.. آيآيآي!

الملك : ما بك؟

سيد البيت : لم أكن أظنك هكذا. ظننتك لست مهذباً، ولا لطيفاً. في جميع الأحوال هذا غير مهم. سنفكر بحل ما. أنا سعيد بالضيوف دائماً.

الملك : لكننا ضيوف مقلقين.

سيد البيت :هذا أمر تافه. المسألة لا تكمن في ذلك.. تفضل بالجلوس.

الملك : أنت تعجبني أيها السيد. **(يجلس)**.

سيد البيت : اللعنة على الشيطان!

الملك : سأشرح لك لِمَ نحن ضيوف مقلقون. أتسمح لي؟

سيد البيت : تفضل، أرجوك!

الملك : أنا إنسان مخيف.

سيد البيت ***(بفرح)***: حقاً؟

الملك : مخيف جداً. أنا طاغية.

سيد البيت : ها هاها!

الملك : مستبدّ. إضافة إلى ذلك غدّار، حقود ومتقلّب.

سيد البيت : أترين؟ ماذا قلت لك يا زوجتي؟

الملك : والأمر المحزن أنني لست المذنب في ذلك..

سيد البيت : من إذاً؟

الملك : الأجداد. الجدود والجّدات، الأعمام الأحفاد، والعمات المختلفات، الآباء والأمهات السابقون. لقد كانوا يتصرفون أثناء حياتهم كالخنازير، وأنا الآن مضطر لدفع ضريبة ذلك. إنهم طفيليون، هذا ما سأقوله لك، اعذرني على تعبيري الذي بدر مني سهواً. أنا بطبيعتي طيّب، ذكي، أحب الموسيقا، صيد السمك والقطط. وفجأة أقوم بسلوك يدفع للبكاء.

سيد البيت : ألا تستطيع أبداً أن تتمالك نفسك ؟

الملك : وكيف لي ذلك؟ لقد ورثت جميع الخصال العائلية الخسيسة مع المجوهرات العائلية. أتتصور مقدار السعادة؟ ماإن أرتكب فعلاً خسيساً حتى يتذمر الجميع، ولا أحد يريد أن يفهم أن عمتي هي المذنبة في ذلك.

سيد البيت : يا له من أمر! ***(يضحك.)*** شيء جنوني! ***(يضحك.)***

الملك : إيه، وفوق ذلك أنت شخص مرح أيضاً.

سيد البيت : ببساطة لستُ كذلك أيها الملك.

الملك : هذا أمر رائع! ***(يخرج من الحقيبة المعلقة عبر كتفه، زمزمية مدوّرة مجدولة.)*** احضري ثلاثة كؤوس أيتها السيدة.

سيدة البيت: اسمح لي يا مولاي.

الملك : إنه نبيذ ملكي ثمين معتق لثلاثمائة عام. لا، لا إياكما أن ترفضا دعوتي. دعونا نحتفل بلقائنا. ***(يصب النبيذ.)*** يا له من لون. ليتني أستطيع صنع بذلة بمثل هذا اللون، وحينها لانفجر جميع الملوك الآخرين من الغيرة. حسناً، نخب لقائنا. اشربا حتى القاع.

سيد البيت : لا تشربي يا زوجتي.

الملك : ماذا تقصد بقولك: «لا تشربي»؟

سيد البيت : ببساطة شديدة..

الملك : تريد أن ترفض دعوتي؟

سيد البيت : المسألة ليست في هذا..

الملك : تسيء لضيفك؟ ***(يمسك بسيفه.)***

سيد البيت : اهدأ، اهدأ! ليس في البيت.

الملك : أتريد أن تعلّمني؟ ما عليّ إلا أن أغمز بعيني ولن يعود لك وجود. لا أبالي إن كان في البيت أو خارجه. سيتراسل الوزراء، وأنا سأعبّر عن مطلق أسفي. أما أنت فستبقى داخل الأرض الرطبة إلى الأبد. في البيت، خارج البيت.. وقح! ويبتسم أيضاً.. اشرب.

سيد البيت : لن أفعل.

الملك : لماذا؟

سيد البيت : لأن النبيذ مسموم أيها الملك.

الملك : ما به النبيذ؟ ما به؟

سيد البيت : إنه مسموم، مسموم.

الملك : تخيلوا فقط ماذا يقول!

سيد البيت : اشرب أنت أولاً! اشرب، اشرب! ***(يضحك.)*** أرأيت يا أخي؟ ***(يرمي بالكؤوس الثلاثة إلى الموقد.)***

الملك : هذا تصرف سخيف. إن كنت لا تريد أن تشرب لكنت أعدتُ صَبّ السائل في الزجاجة. إنه شيء ضروري في السفر. ليس سهلاً الحصول على السم في الفلاة.

سيدة البيت: هذا معيب جداً يا صاحب الجلالة.

الملك : لست المذنب.

سيدة البيت: من إذاً؟

الملك : عمي. كان يفعل كما فعلت الآن، يفتح حديثاً مع أيٍّ كان، يحكي عن نفسه أموراً مشينة، ثم يعتريه الخجل. أما روحه فرقيقة، حساسة، تُجرح بسهولة. وكي لا يتعذب لاحقاً، يقوم فيسمم محادثَهُ.

سيد البيت : نذل.

الملك : حيوان نظامي. ترك مورثاته، سافل.

سيد البيت : إذاً، عمك هو المُلام؟

الملك : عمي، عمي، عمي. لا داع للابتسام. أنا إنسان مطّلع، لدي ضمير. غيري كان سيلقي ذنب حقاراته على أصدقائه، على رؤسائه، على جيرانه، على زوجته. أما أنا فألقي اللوم على أجدادي، كما على الأموات. الأمر سيّان بالنسبة لهم، أما أنا فأشعر ببعض الراحة.

سيد البيت : و..

الملك : اسكت. أعرف ماذا ستقول. إن تحمل المسؤولية بنفسي على جميع حقاراتي وسخافاتي، دون إلقاء اللوم على المقربين، أمر أكبر من طاقة الإنسان. فأنا لست عبقرياً ما. مجرد ملك بكل بساطة. يكفي حديثاً عن هذا. توضح كل شيء. أنت تعرفني، وأنا كذلك: يمكنك ألا تتصنّع، لا ترتبك. ما بك تعبس؟ بقيتما حيين وبصحة جيدة، والحمد لله.. ماذا في ذلك..

سيدة البيت: أخبرني من فضلك أيها الملك، والأميرة أيضاً..

الملك ***(بطراوة كبيرة):*** آه لا، لا، ماذا تقولين! إنها مختلفة تماماً.

سيدة البيت: يا لها من مصيبة.

الملك : أليس كذلك؟ إنها طيبة جداً، ولطيفة. إنها تعاني من صعوبات..

سيدة البيت: أمها على قيد الحياة؟

الملك : توفيت حين كان عمر الأميرة سبع دقائق فقط. رجاء لا تسيئي إلى ابنتي.

سيدة البيت: أيها الملك!

الملك : آه، أنا لا أعود ملكاً حين أراها أو أفكر بها. أصدقائي، يا أصدقائي، يا لها من سعادة أنني أحب

ابنتي فقط إلى هذا الحد. لو كانت شخصاً غريباً عني لاستغَلت ذلك، ولكنت مت بسبب ذلك. أكيد كنت متّ.. أجل.. هكذا.

سيد البيت ***(يخرج تفاحة من جيبه)***: كل التفاحة.

الملك : أشكرك، لا أريد.

سيد البيت : إنها لذيذة. وليست مسمومة.

الملك : أعرف. اسمعا يا صديقيّ. رغبت أن أحكي لكما عن جميع همومي ومصائبي. وطالما رغبت بذلك فقد انتهى الأمر ولن أتمالك نفسي أكثر. سأحكي لكما. هل أستطيع؟

سيد البيت : لا داعي حتى للسؤال. اجلسي يا زوجتي. جلسة مريحة، أقرب إلى الموقد. ها قد جلست أنا أيضاً. أتشعر بالراحة هكذا؟ هل أحضر لك ماءً؟ هل أغلق النافذة؟

الملك : لا، لا، أشكرك.

سيد البيت : نحن نسمعك يا صاحب الجلالة. احكِ لنا.

الملك : شكراً. أتعرفان يا صديقيّ أين تقع مملكتي؟

سيد البيت : أعرف.

الملك : أين؟

سيد البيت : بعيدة جداً جداً.

الملك : صحيح تماماً. والآن ستعرفان لماذا انطلقنا في الرحلة ووصلنا بعيداً جداً هكذا. هي السبب في ذلك.

سيد البيت : الأميرة؟

الملك : أجل. هي. القصة يا صديقيّ أن عمر الأميرة لم يكن قد بلغ الخمس سنوات حين لاحظتُ أنها لا تشبه أبداً ابنة ملك. في البداية شعرت بالرعب، حتى إنني شككت بخيانة زوجتي المسكينة المرحومة. بدأت استفهم، استفسر، ثم توقفت عن التحقيق في منتصف الطريق. خفت لأنني تعلقت بالفتاة بقوة كبيرة. حتى إنه بات يعجبني أنها غير عادية هكذا. حين أدخل إلى غرفة الأطفال وفجأة- أخجل حتى من قول هذا - أصبح لطيفاً. هاها. لدرجة أنني أستطيع التخلي عن العرش.. كل هذا بيننا أيها السادة.

سيد البيت : طبعاً! بالتأكيد!

الملك : كان يصل الأمر لدرجة الإضحاك. أحياناً أوقّع على حكم بالموت على أحدهم وأضحك متذكرا

مشاغباتها المضحكة وكلماتها. أمر مسلٍّ، أليس كذلك؟

سيد البيت : أبداً، على الإطلاق.

الملك : وهكذا. وعشنا بهذه الطريقة. الفتاة تصبح أكثر ذكاء وتكبر. ماذا كان سيفعل أب حقيقي طيب في مكاني؟ كان سيعلّم ابنته تدريجياً على الخشونة، القسوة، الغدر. أما أنا فأناني ملعون، اعتدت أن أريح روحي قربها حتى بدأت أفعل العكس وأحمي المسكينة من كل ما يمكن أن يفسدها. حقارة، أليس كذلك؟

سيد البيت : أبداً، على الإطلاق.

الملك : حقارة، حقارة. أتيت إلى القصر بأفضل الناس من جميع أرجاء المملكة وألحقتهم بابنتي. خلف الجدار تجري أمور تشعرني أنا نفسي بالهلع. لا بد أنكما تعرفان ما هو القصر الملكي؟

سيد البيت : أوه.

الملك : هكذا بالضبط. خلف الجدار يسحق الناس بعضهم، يذبحون إخوتهم من لحمهم ودمهم، يخنقون أخواتهم.. بمعنى آخر، تسير حياة يومية طبيعية.

لكن عندما تدخل إلى قسم الأميرة فهناك الموسيقا، أحاديث عن أناس صالحين، عن الشعر، حفلة أبدية. وفجأة انهار هذا الجدار بسبب أمر تافه. اذكر كما الآن، حدث الأمر يوم سبت. كنت جالساً، أعمل، أتفقد تقارير الوزراء عن بعضهم البعض. ابنتي جالسة قربي، تطرز لي وشاحاً لعيد ميلادي.. كل شيء هادئ، مسالم، العصافير تغرد. فجأة دخل مدير المراسم وأبلغني أن عمتي قد وصلت. دوقة. وأنا لا أطيقها. امرأة تحب الزعيق. فقلت لمدير المراسم: أخبرها أنني لست في البيت. أمر تافه؟

سيد البيت : تافه.

الملك : بالنسبة لنا نحن تافه، لأننا أناس طبيعيون. أما ابنتي المسكينة التي ربّيتها وكأنها في بيت زجاجي[١]، فسقطت مغشياً عليها.

سيد البيت : حقاً؟

الملك : أقسم لك. إنها كما ترى، صُدِمت بأن بابا، باباها هي يستطيع أن يكذب. بدأت تشعر بالملل، تشرد، تعاني، أما أنا فارتبكت. فجأة استيقظ داخلي جد من

---

(١) دفيئة.

طرف أمي. كان رقيقاً، يخاف الألم إلى حَدِّ أنه يتجمد عند أقل مصيبة، لا يتخذ أيّة خطوة حاسمة، بل يبقى يأمل بالأفضل. حين خنقوا زوجته الحبيبة أمامه، كان يقف قربها ويترجاها: تحمّلي فقد تُحلّ الأمور. وحين كانوا يدفنونها، كان يمشي خلف النعش ويصفّر. ثم سقط ومات. ما رأيك به؟

سيد البيت : لا أفضل من ذلك.

الملك : هل استيقظت الوراثة في وقتها؟ أتدركون ما المأساة التي حدثت؟ الأميرة تسرح في القصر، تفكر، تنظر، تستمع، أما أنا فأجلس على العرش بيدين معقودتين وأصفّر. فالأميرة تكاد بين لحظة وأخرى أن تعرف عني أموراً قد تقتلها، أما أنا فابتسم عاجزاً. لكنني استيقظت فجأة ذات ليلة. نهضت. أمرت بسرج الخيول، وعند الفجر كنا قد انطلقنا في الطريق، نرد بلطف على تحيات مواطنينا الأعزاء.

سيدة البيت: يا إلهي، كم هو محزنٌ كل هذا !!

الملك : لم نطل المكوث لدى جيراننا. فالكُلُّ يعرف كم هم نمامون هؤلاء الجيران!! كنا نسرع بالابتعاد أكثر وأكثر،

إلى أن وصلنا إلى جبال الكاربات، حيث لم يسبق لأحد أن سمع عنا شيئاً يوماً أبداً. الهواء هنا نقي، جبلي. اسمحا لنا بالمكوث لديكم إلى أن نبني قصراً مع جميع مرافقه، حديقته، زنزانته، وباحة للعب..

سيدة البيت: أخشى أن...

سيد البيت : لا تخافي من فضلك. أرجوك. أتوسل إليك. فكل هذا يعجبني كثيراً. عزيزتي، غاليتي. تفضل، تفضل يا صاحب الجلالة، سأريك الغرف.

الملك : أشكرك.

سيد البيت ***(يسمح للملك بالمرور قبله)***: تفضل إلى هنا يا صاحب الجلالة. على مهلك، هنا توجد درجة. هكذا. ***(يلتفت نحو زوجته. بهمس)*** دعيني أشاغب يوماً واحداً فقط. الوقوع في الحب مفيد. لن تموت بسبب ذلك، يا إلهي. ***(يهرب)***.

سيدة البيت: أبداً. تشاغب؟ هل ستحتمل فتاة مثلها أن يتحول شاب لطيف وحنون إلى وحش بري أمام عينيها؟ حتى المرأة ذات الخبرة ستشعر بإحساس مريع. لن أسمح. سأحاول إقناع هذا الدب المسكين أن يصبر قليلاً بعد، ويبحث عن أميرة أخرى أسوأ قليلاً.

وبالمناسبة ها هو حصانه ما يزال يقف مسروجاً، ينفخ في الشعير، أي أنه شبع وارتاح. اركب حصانك وانطلق إلى ما خلف الجبال وستعود لاحقاً. ***(تنادي.)*** بني. بني. أين أنت؟ ***(تخرج).***

يُسمع صوتها خلف الخشبة: «أين أنت؟ بني!»

يدخل الدب.

الدب : أنا هنا.

سيدة البيت *(من خلف الخشبة):* اخرج إلي في الحديقة.

الدب : قادم.

يفتح الباب. خلف الباب شابة تحمل باقة ورد في يديها.

اعذريني، أعتقد أنني دفعتك أيتها الشابة اللطيفة؟

يقع الورد من يدي الفتاة. الدب يرفعه.

ما بك؟ هل حقاً أخفتك؟

الشابة : لا. فقط ارتبكت قليلاً. في الحقيقة، لم يسبق لأحد من قبل أن ناداني بهذه البساطة بالـــ: شابة اللطيفة.

الدب : لم أكن أرغب الإساءة إليك.

الشابة : لكنني لم أشعر مطلقاً بالاستياء.

الدب : الحمد لله. مشكلتي أنني صادق لدرجة مرعبة. فإن رأيت أن الشابة لطيفة، أخبرها عن ذلك بصراحة.

صوت السيدة: بني، بني، أنا انتظرك.

الشابة : أينادونك أنت؟

الدب : أجل.

الشابة : هل أنت ابن صاحب هذا البيت؟

الدب : لا، أنا يتيم.

الشابة : وأنا أيضاً. أقصد أن أبي على قيد الحياة، وأمي متوفاة منذ أن كان عمري في الحياة سبع دقائق فقط.

الدب : لكن لا بد أن لديك الكثير من الأصدقاء؟

الشابة : لماذا تعتقد ذلك؟

الدب : لا أعرف... يخيّل إليّ أن الجميع يجب أن يحبوك.

الشابة :من أجل ماذا؟

الدب : لأنك رقيقة جداً. حقيقة.. أخبريني، حين تخبئين وجهك في الورود، أيعني هذا أنك غاضبة؟

الشابة : لا.

الدب : إذاً سأخبرك بهذا أيضاً: أنت جميلة! جميلة جداً! جداً! مذهل. مرعب.

صوت سيدة البيت: بني، بني، أين أنت؟

الدب : أرجوك لا تذهبي.

الشابة : ولكنهم ينادون عليك.

الدب : أجل. ينادون. هناك شيء آخر سأقوله لك. لقد أعجبتني كثيراً. بشكل مرعب. على الفور.

الشابة تضحك.

هل أنا مضحك؟

الشابة : لا. ولكن.. ماذا علي أن أفعل؟ أنا لا أعرف. فلم يسبق لأحد أن تكلم معي بهذه الطريقة..

الدب : أنا سعيد جداً بذلك. يا إلهي، ماذا أفعل؟ لا بد أنك متعبة من السفر، جائعة، وأنا مستمر بالثرثرة. تفضلي بالجلوس. هاك الحليب. طازج. اشربي. لا! مع الخبز، مع الخبز.

تستجيب الشابة. إنها تشرب الحليب وتأكل الخبز، دون أن ترفع عينيها عن الدب.

الشابة : أخبرني من فضلك، هل أنت ساحر؟

الدب : لا، أبداً.

الشابة : إذاً لماذا أستجيب لك هكذا؟ فمنذ خمس دقائق فقط تناولت إفطاراً دسماً جداً، وها أنا أشرب الحليب مجدداً، ومع الخبز أيضاً. أحقاً لست ساحراً؟

الدب : بكل صدق.

الشابة : إذاً لماذا حين كنت تقول إنني.. أعجبتك، أحسستُ.. بوهن غريب في كتفيّ ويديّ و.. اعذرني لأنني أسألك عن هذا، ولكن من علي أن أسأل غيرك؟ لقد أصبحنا أصدقاء فجأة! صحيح؟

الدب : أجل، أجل.

الشابة : لا أفهم شيئاً.. هل اليوم عيد؟

الدب : لا أعرف. أجل. عيد.

الشابة : كنت أعرف ذلك.

الدب : لكن، أخبريني من فضلك، من أنت؟ هل أنت من حاشية الملك؟

الشابة : لا.

الدب : آه، فهمت. أنت من حاشية الأميرة.

الشابة : وماذا لو كنت أنا الأميرة بذاتها؟

الدب : لا، لا، لا تمزحي معي هذا المزاح القاسي.

الشابة : ما بك؟ لقد شحبت فجأة! ما المزعج فيما قلته؟

الدب : لا، لا، لستِ الأميرة. لا. لقد جبت العالم طويلاً ورأيت الكثير من الأميرات. أنت لا تشبهينهن مطلقاً.

الشابة : لكن..

الدب : لا، لا تعذبيني. قولي ما تريدين ولكن ليس هذا..

الشابة : حسناً. أنت تقول أنك جبت العالم كثيراً؟

الدب : أجل. كنت أتعلم وأتعلم، في السوربون، وليدن، وفي براغ. كنت أشعر أن حياة الإنسان صعبة جداً، فغرقت في كآبة تامة. وعندها بدأت أتعلم.

الشابة : وكيف حالك الآن؟

الدب : لم يساعدني ذلك.

الشابة : أما زلت كئيباً كالسابق؟

الدب : ليس دائماً، لكنني أكتئب في بعض الأحيان.

الشابة : كم هذا غريب! وأنا قد خيّل إليّ أنك هادئ، متفائل، وبسيط!

الدب : هذا لأن صحتي جيدة كالدب. ما بك؟ لماذا توردّتِ فجأة؟

الشابة : أنا نفسي لا أعرف. فقد تغيرتُ كثيراً خلال الدقائق الخمس الأخيرة، لدرجة أنني لم أعد أتعرف على نفسي. سأحاول الآن أن أفهم ما الأمر. لقد.. لقد خفت!

الدب : ماذا؟

الشابة : قلتَ إنك بصحة جيدة كالدب. الدب.. يا لها من مزحة.بينما أنا لست محميةً باستسلامي السحري هذا. ألن تسيء إليّ؟

الدب : أعطني يدك.

تذعن الشابة. يركع الدب على إحدى ركبتيه. يقبّل يدها.

لتقتلني الصاعقة إن أسأت إليك يوماً ما. حيث تذهبين، أذهب، وحين تموتين أموت أنا.

تصدح الأبواق.

الشابة : يا إلهي!نسيت أمرهم تماماً. لقد وصلت الحاشية أخيراً إلى هنا. ***(تقترب من النافذة.)*** يا لها من وجوه مألوفة في الأمس. دعنا نختبئ منهم.

الدب : أجل، أجل.

الشابة : لنذهب إلى النهر.

يهربان وهما يمسكان بأيدي بعضهما. في اللحظة ذاتها تدخل السيدة إلى الغرفة. إنها تبتسم من بين الدموع.

سيدة البيت: آه يا إلهي، يا إلهي. لقد سمعت كامل حديثهما وأنا أقف هنا تحت النافذة، من أوله حتى آخره. لكنني

لم أتجرأ على الدخول والتفريق بينهما. لماذا؟ لماذا أبكي وأفرح كالحمقاء؟ لأنني أدرك أن هذا لن ينتهي نهاية جيدة، أما روحي فتشعر بالفرح. ها قد هبّ الإعصار، أتى الحب. أولاد مساكين، أولاد سعداء.

طرق خجول على الباب.

تفضل!

يدخل شخص هادئ جداً، ملابسه مهملة، يحمل صرة في يده.

الشخص : مرحباً يا سيدة البيت! اعذريني على تطفلي. ربما أزعجتك؟ أتريدين أن أغادر؟

سيدة البيت: لا، لا ماذا تقول! تفضل بالجلوس من فضلك.

الشخص : أتسمحين لي أن أضع الصرة؟

سيدة البيت: بالطبع، تفضل.

الشخص : أنت طيبة جداً. يا له من موقد مريح رائع. وأيضاً قبضة لسيخ الشواء. وخطاف لتعليق الإبريق.

سيدة البيت: هل أنت الطباخ الملكي؟

الشخص : لا يا سيدتي، أنا الوزير الأول للملك.

سيدة البيت: من، من؟

الوزير : الوزير الأول لجلالته.

سيدة البيت: آه اعذرني..

الوزير: لا بأس، لستُ مستاءً.. في وقت ما كان الجميع يخمّنون من النظرة الأولى أنني وزير. كنت لامعاً، مهيباً. كان الخبراء يؤكدون أنه يصعب فهمُ مَن يتصرف بطريقة أكثر رزانة وهيبة، أنا أم القطط الملكية. أما الآن.. فأنت ترين بنفسك..

سيدة البيت: ما الذي أوصلك إلى هذه الحالة إذاً؟

الوزير: الطريق، يا سيدتي.

سيدة البيت: الطريق؟

الوزير: بسبب بعض الظروف القاهرة، نحن، مجموعة الحاشية، انتزِعنا من حياتنا الاعتيادية وأُرسِلنا إلى بلدان غريبة عنا. وهذا بذاته نفسه أمر متعب، وفوق ذلك كله هذا الطاغية.

سيدة البيت: الملك؟

الوزير: ماذا تقولين، أبداً! لقد اعتدنا على جلالته منذ زمن طويل. الوزير الإداري هو الطاغية.

سيدة البيت: لكن بما أنك الوزير الأول فيفترض به أن يكون مرؤوسك؟ فكيف يمكنه والحال هذه أن يكون طاغيتك؟

الوزير : لقد اكتسب قوة كبيرة حتى إننا جميعاً نرتجف أمامه.

سيدة البيت: وكيف تمكن من ذلك؟

الوزير : إنه الوحيد الذي يتقن السفر بيننا جميعاً. إنه يتقن إحضار الخيول في محطة البريد، الحصول على عربة، وإطعامنا. صحيح أنه يفعل كل ذلك بطريقة سيئة، لكننا بالمقابل لا نستطيع فعل شيء من هذا القبيل مطلقاً. لا تخبريه بأنني اشتكيت، وإلا حرمني من التحلية.

سيدة البيت: ولماذا لا تشكوه للملك؟

الوزير : آه، إنه.. كما يقولون بلغة الأعمال.. إنه يخدم الملك بطريقة جيدة جداً ويموّنه، ولذلك لا يرغب جلالته بأن يسمع شيئاً.

تدخل وصيفتان وسيدة بلاط.

سيدة بلاط *(تتكلم بطراوة، تلفظ كل كلمة بوضوح ارستقراطي):*

لا يعلم إلا الشيطان متى سينتهي هذا! سننتسخ هنا كالخنازير إلى أن يتكرّم علينا هذا النذل السام بإعطائنا الصابون. مرحباً يا سيدة البيت، اعذرينا أننا دخلنا دون أن نطرق الباب. لقد فقدنا تحضّرنا أثناء السفر.

الوزير : أجل، هذا ما فعله بنا الطريق. يصبح الرجال هادئين من الرعب، والنساء متوعّدات. اسمحي لي أن أقدم لك حسناء وفخر حاشيتنا الملكية: السيدة المرافقة الأولى.

سيدة البلاط: يا إلهي، كم من الوقت مرّ منذ أن سمعت كلمات كهذه آخر مرة! ***(تنحني بتحية)***. سعيدة جداً، ليأخذني الشيطان. ***(تعّرف سيدة البيت.)***وصيفتا الأميرة أورينتياوآماندا.

تنحني الوصيفتان.

سامحيني يا سيدة البيت أنا مرتبكة. لكن سعادة الوزير الإداري اللعين لم يوزع لنا البودرة اليوم، وعطر «كيلكفلير» وصابون الغليسرين الذي يطرّي الجلد ويحميه من تعرضه لتأثير الريح. أنا متأكدة أنه باع كل ذلك للسكان الأصليين. أتصدقين، حين خرجنا من العاصمة، لم يكن يحمل سوى علبة قبّعة مثيرة للشفقة فيها شطيرة ولباسه الداخلي المهترئ. ***(للوزير)*** لا ترتعش يا عزيزي، ليست قليلة الأشياء التي شاهدناها أثناء السفر! أكرر: لباس داخلي. أما الآن فهذا الوقح يملك ثلاثة وثلاثين صندوقاً واثنين

وعشرين حقيبة، دون أن نحسب ما أرسله إلى بيته منتهزاً الفرصة.

أورينتيا : والأفظع من ذلك أننا نستطيع الآن التكلم فقط عن الإفطار، الغداء والعشاء.

آماندا : وهل من أجل هذا تركنا قصرنا الحبيب؟

سيدة البلاط: الحيوان لا يريد أن يفهم أن الهدف الأسمى من رحلتنا هو المشاعر الرقيقة: مشاعر الأميرة، مشاعر الملك. انتُقينا لنكون ضمن الحاشية المرافقة كوننا نساء رقيقات، حساسات، لطيفات. أنا مستعدة أن أعاني. لا أنام الليالي. حتى إنني مستعدة للموت كي أساعد الأميرة. ولكن ما الداعي لتحمل شيء زائد لا يلزم أحداً، عذابات مهينة بسبب جملٍ فقد حياءه؟

سيدة البيت: أتردن أن تغتسلن بعد السفر يا سيداتي؟

سيدة البلاط: ليس لدينا صابون.

سيدة البيت: سأعطيكن كل ما يلزم وقدر ما تشأن من الماء الساخن.

سيدة البلاط: أنت قديسة. *(تقبّل سيدة البيت.)* لنستحم! لنتذكر الحياة المتحضرة! يا للسعادة!

سيدة البيت: تفضّلن، تفضّلن سأرافقكن. اجلس يا سيدي! سأعود حالاً وأقدم لك القهوة.

تخرج برفقة سيدة البلاط والوصيفتين. يجلس الوزير قرب الموقد. يدخل الوزير الإداري. يهب الوزير الأول واقفاً.

الوزير *(بتردد)*: مرحباً!

الوزير الإداري: هاه؟

الوزير : قلت: مرحباً!

الوزير الإداري: سبق أن التقينا.

الوزير : لماذا لا تتصرف بتهذيب معي؟

الوزير الإداري: لم أتفوه بكلمة سيئة واحدة في حقك.***(يخرج مفكرة من جيبه، ويغرق في حسابات ما).***

الوزير : اعذرني.. أين حقائبنا؟

الوزير الإداري: يا لكم من بشر! الكل يفكر بنفسه، يفكرون بأنفسهم فقط.

الوزير : لكنني..

الوزير الإداري: إن بقيت تزعجني سأحرمك من الإفطار.

الوزير : لا، أبداً، لم أقصد. أنا ببساطة هكذا فقط.. سأذهب بنفسي للبحث عنها.. حقيبتي. يا إلهي، متى سينتهي كل هذا. ***(يذهب)***.

الوزير الإداري ***(يتمتم وقد تعمق في كتابه أكثر)***:جنيهان للحاشية، وأربعة في الذهن.. ثلاثة جنيهات للملك، وواحد ونصف في الذهن. جنيه للأميرة، ونصف جنيه في الذهن. وهكذا يصبح ناتج ما في ذهني ستة جنيهات. خلال صباح واحد. أحسنت. شاطر.

تدخل سيدة البيت. الوزير الإداري يغمز لها.

في منتصف الليل تماماً.

سيدة البيت: ماذا في منتصف الليل؟

الوزير الإداري: تعالي إلى المخزن. ليس لدي وقت للمغازلة. أنت فاتنة، أنا فاتن، فما الداعي لإضاعة الوقت؟ في منتصف الليل. عند المخزن. بانتظارك. لن تندمي.

سيدة البيت: كيف تجرؤ؟

الوزير الإداري: أجل يا عزيزتي أجرؤ. أنا أيضاً انظر إلى الأميرة، ها ها، بمغزى. لكن الحمقاء لا تفهم شيئاً من هذا حتى الآن. لن أفوّت ما هو لي.

سيدة البيت: هل أنت مجنون؟

الوزير الإداري: على العكس! أنا طبيعي إلى حدّ أنني أنا نفسي أستغرب من ذلك.

سيدة البيت: إذن، أنت ببساطة نذل.

الوزير الإداري: آه يا عزيزتي، ومَن صاحب الأخلاق فينا؟العالم كله مركب بحيث لا داعي للشعور بالخجل من أي شيء. اليوم مثلاً شاهدت فراشة تطير. رأسها صغير، أحمق. تحرك أجنحتها بياك.. بياك.. قمة الحماقة. لقد أثّر فيّ هذا المنظر لدرجة أنني سرقت من الملك مئتي قطعة ذهبية. ما الداعي للخجل إن كان العالم كله ليس مخلوقاً على ذوقي. شجرة البتولا بليدة، شجرة الدلب حمارة. النهر غبي. الغيوم بلهاء. الناس نصابون. انتهى. حتى الأطفال الرضع يحلمون بشيء واحد فقط، الأكل والنوم. لننتهي من هذا الأمر. فما العظيم في ذلك؟ هل ستأتين؟

سيدة البيت: لن أفكر بذلك حتى. سأشكوك إلى زوجي أيضاً وسيحوّلك إلى جرذ.

الوزير الإداري: عذراً، هل هو ساحر؟

سيدة البيت: أجل.

الوزير الإداري: واجب أن تحذريني. في هذه الحالة إنسي أمر اقتراحي الوقح. ***(يتكلم بسرعة)*** سأعتبره خطأً شنيعاً. أنا شخص دنيء إلى أبعد حد. أنا نادم، نادم حقاً، أرجوك أن تمنحيني الفرصة لأكفّر عن العرض. انتهى. في جميع الأحوال، أين هم أفراد الحاشية الملعونون هؤلاء؟

سيدة البيت: لماذا تكرههم إلى هذا الحد؟

الوزير الإداري: أنا نفسي لا أعرف. لكن كلما كسبت منهم أكثر، زاد كرهي لهم.

سيدة البيت: حين يعودون إلى الديار سيذكرون لك هذا الأمر.

الوزير الإداري:سخافات. سيعودون، يرقّون، يفرحون، ينشغلون وينسون كل شيء.

صوت بوق. يدخل الوزير الأول، سيدة بلاط، وصيفات .

أين تتسكعون أيها السادة؟ فأنا لا أستطيع أن أجري خلف كل واحد منكم على حدة. آه. ***(لسيدة البلاط)*** هل اغتسلت؟

سيدة البلاط: اغتسلت، فليأخذني الشيطان.

الوزير الإداري: أحذرك: إذا بقيت تغتسلين من خلف ظهري، فسأخلي نفسي من كل المسؤولية. يجب أن يكون

هناك نظام مُعلن أيها السادة. عندها افعلوا كل شيء بأنفسكم. ما الذي يجري بحق...

الوزير : هدوءاً. جلالته قادم إلى هنا.

يدخل الملك وسيد البيت. ينحني أفراد الحاشية باحترام.

الملك : أقسم أن المكان هنا يعجبني كثيراً. المنزل كله مصمم بطريقة رائعة، وبحب، حتى ليخطر لي أن أستولي عليه. لكن جيد أنني لست في دياري. ففي دياري ما كنت لأتمالك نفسي ولسجنتك في برج رصاصي في ساحة السوق. إنه مكان رهيب. حار نهاراً، بارد ليلاً. يتعذب السجناء لدرجة أن السجانين يبكون من الشفقة أحياناً.. لكنت سجنتك وأخذت منزلك لي.

سيد البيت *(يضحك)*: يا لك من وحش!

الملك : وماذا كنت تظن؟ ملك من رأسي حتى أخمص قدميّ. اثنا عشر جيلاً من الأجداد وكلهم وحوش دون استثناء. أين ابنتي يا سيدتي؟

سيدة البلاط: صاحب الجلالة. أمرتنا الأميرة بالبقاء. فجلالتها رغبت بقطف الورود من المرج الرائع، قرب الجدول الجبلي الصاخب في وحدة تامة.

الملك : كيف تجرأت أن تتركي الصغيرة وحدها. قد تكون هناك أفاع في العشب، والهواء البارد يأتي من الجدول.

سيدة البيت: لا أيها الملك، لا. لا تخف عليها. ***(تشير عبر النافذة)*** ها هي قادمة، سليمة معافاة.

الملك *(يندفع نحو النافذة)*: صحيح! أجل، أجل صحيح هاهي ابنتي الوحيدة قادمة. ***(يضحك)*** لقد ضَحِكَت! ***(يعبس)*** أما الآن فاستغرقت في التفكير.. ***(يسطع)*** أما الآن فابتسمت. أجل كم هذا رقيق، كم هو حنون! من هذا الشاب الذي معها؟ إنه يعجبها،أي أنه يعجبني أيضاً. ما هي أصوله؟

سيد البيت : سحرية.

الملك : رائع. والداه على قيد الحياة؟

سيد البيت : متوفيان.

الملك : مذهل. لديه إخوة أو أخوات؟

سيد البيت : لا.

الملك : لا يوجد ما هو أفضل من ذلك. سأمنحه لقباً، ثروة، وليسافر معنا. لا يمكنه أن يكون إنساناً سيئاً إن كان قد أعجبنا إلى هذا الحد. هل هو شاب صالح يا سيدة البيت؟

سيدة البيت: جداً، لكن..

الملك : من دون «لكن». منذ قرن لم أر ابنتي سعيدة وتقولون لي «لكن». يكفي، بالطبع. أنا سعيد وهذا كاف. سألهو اليوم بفرح، بطيبة قلب، بنزوات مختلفة غير مؤذية، مثل أحد أجدادي الذي غرق في حوض السمك وهو يحاول أن يمسك بأسنانه سمكة ذهبية. افتحوا برميل نبيذ! برميلين! ثلاثة! جهّزوا الأطباق لأكسرها. أخرجوا الخبز من منشف الحبوب. سأحرق منشف الحبوب. وأرسلوا في طلب الزجاج و صانع الزجاج من المدينة. نحن سعداء، نحن مسرورون، سيسير كل شيء الآن كما في حلم جميل.

تدخل الأميرة والدب.

الأميرة : مرحباً يا سادة.

الحاشية *(معاً)*: مرحباً يا صاحبة السمو الملكي.

يتجمد الدب مرعوباً

الأميرة : صحيح أنني رأيتكم جميعاً اليوم، لكن يخيّل إليّ أن ذلك قد حصل منذ زمن طويل جداً. أيها السادة، هذا الشاب: أفضل صديق لي.

الملك : أمنحه لقب الأمير.

تنحني حاشية البلاط للدب، إنه يلتفت حوله برعب.

الأميرة : شكراً بابا. أيها السادة. في طفولتي كنت أحسد الفتيات اللواتي لديهن إخوة. كان يخيّل إلي أنه من المثير جداً للفضول أن يسكن في البيت قربك كائن لا يشبهنا مطلقاً، متهور، صارم ومرح. وهذا الكائن يحبك لأنك أخته الشقيقة. أما الآن فلست نادمة على ذلك. لأنه برأيي أن..

تمسك بيد الدب فيرتجف.

لأنه برأيي يعجبني حتى أكثر من أخ شقيق. يمكن التخاصم مع الإخوة، أما معه فما كنت لأتخاصم أبداً. إنه يحب ما أحب، يفهمني حتى عندما أتكلم بطريقة غير مفهومة، وأنا أشعر بالسهولة البالغة في التعامل معه. أنا أيضاً أفهمه كما أفهم نفسي. أترون كم هو غاضب؟ ***(تضحك)*** أتعرفون لماذا؟ لقد أخفيت عنه أنني أميرة، فهو لا يطيقهن. أردته أن يرى أنني لا أشبه الأميرات الأخريات. عزيزي، أنا أيضاً لا أطيقهن. لا، لا أرجوك لا

تنظر إلي بهذا الرعب. أرجوك فهذه أنا. تذكر! لا تغضب! لا تُخفِني! لا داع. حسناً، أتريد أن أقبّلك؟

الدب *(برعب)*: إطلاقاً.

الأميرة : أنا لا أفهم.

الدب *(بهدوء، بيأس)*: وداعاً، وداعاً إلى الأبد! ***(يهرب)***

لحظة صمت، سيدة البيت تبكي.

الأميرة : ماذا فعلت له؟ هل سيعود؟

صوت حوافر يائس.

الملك *(عند النافذة)*: إلى أين تذهب؟ ***(يخرج)***

يتبعه أفراد الحاشية وسيد البيت. تندفع الأميرة نحو سيدة البيت.

الأميرة : لقد دعوتِه ببني. أنت تعرفينه. ماذا فعلتُ له؟

سيدة البيت: لا شيء يا عزيزتي. لستِ مذنبةً بشيء. لا تهزّي برأسك، صدقيني.

الأميرة : لا، لا، أفهم كل شيء. لم يعجبه أنني أمسكت بيده أمام الجميع. فقد ارتجف بشدة حين فعلت ذلك. وهذا.. وهذا أيضاً.. لقد تكلمت عن الإخوة بطريقة سخيفة جداً. لقد قلت: من المثير للفضول أن يسكن قربك كائن لا يشبهك.. كائن.. إنه تعبير نظري،

سخيف جداً. أو.. أو.. يا إلهي. كيف أمكنني أن أنسى المخجل أكثر من أي شيء آخر. لقد قلت له بأنني سأقبّله، أما هو..

يدخل الملك، سيد البيت، أفراد الحاشية.

الملك : لقد سافر دون أن يلتفت، على فرسه المجنون، دون أن يتبع الطريق، مباشرة إلى الجبل.

تهرب الأميرة.

إلى أين؟ ما بك؟ ***(يجري في أثرها)***

يُسمع صوت المفتاح في القفل. يعود الملك. ملامحه متجهمة.

أيها الجلاد!

يظهر الجلاد في النافذة.

الجلاد : بانتظار أوامرك مولاي.

الملك : استعد.

الجلاد : بانتظار أوامرك مولاي.

صوت طبل خافت.

الملك : صلّوا أيها السادة أفراد الحاشية. سجنت الأميرة نفسها في الغرفة ولا تسمح لي بالدخول. ستُعاقبون جميعاً.

الوزير الإداري: أيها الملك!

الملك : انتهى. أنتم هناك. هاتوا الساعة الرملية.

يدخل الخادم الملكي. يضع على الطاولة ساعة رملية كبيرة.

لن أرحم إلا ذاك الذي سيشرح لي كل شيء ويرشدني إلى طريقة لمساعدة الأميرة بينما يتساقط الرمل في الساعة. فكروا يا سادة، فكروا. الرمل ينساب بسرعة.

تكلموا بالدور، باختصار ودقة. الوزير الأول.

الوزير : برأيي يا صاحب الجلالة يجب ألا يتدخل الكبار في أمور أولادهم العاطفية، طبعاً إن كانوا أولاداً صالحين.

الملك : ستموت أولاً يا صاحب السعادة. ***(لسيدة البلاط)*** تكلمي سيدتي.

سيدة البلاط: منذ سنوات طويلة جداً يا مولاي، كنت واقفة عند النافذة، وشاب يمتطي حصاناً أسود يهرب مني على الطريق الجبلي. كانت ليلة مقمرة هادئة جداً. كان صوت الحوافر يخفت في البعيد.

الوزير الإداري: تكلمي بسرعة يا ملعونة فالرمل ينساب.

الملك : لا تقاطعها.

الوزير الإداري: إنها حصة واحدة للجميع. ماذا سيبقى لنا؟

الملك : أكملي يا سيدتي.

سيدة البلاط ***(دون تعجل، باحتفالية ناظرة إلى الوزير الإداري):***

أشكرك من كل قلبي يا صاحب الجلالة الملكية. وهكذا.. كانت ليلة مقمرة هادئة جداً. كان صوت الحوافر يخفت تدريجياً في البعيد وأخيراً صمت نهائياً. منذ ذلك الحين لم أر الشاب المسكين مرة. وكما تعرف يا صاحب الجلالة، لقد تزوجت رجلاً آخر، وها أنا ما زلت على قيد الحياة، هادئة، وأخدم جلالتكم الملكية بإخلاص.

الملك : وهل شعرت بالسعادة بعد أن غادر؟

سيدة البلاط: ولا دقيقة واحدة خلال حياتي كلها.

الملك : ستقدمين رأسك للمقصلة أيضاً يا سيدتي.

تنحني السيدة بوقار

(للوزير الإداري) تكلم!

الوزير الإداري: أفضل طريقة لتهدئة الأميرة هي تزويجها من شخص أثبت عمليّته، معرفته بالحياة، حسن تدبيره ويعمل لدى الملك.

الملك : هل تتكلم عن الجلاد؟

الوزير الإداري: معاذ الله يا صاحب الجلالة. فأنا لا أعرفه من هذه الناحية مطلقاً.

الملك : ستعرفه. آماندا!

آماندا : لقد صلينا وأصبحنا مستعدين للموت أيها الملك.

الملك : ألن تنصحينا بما علينا فعله؟

أورينتيا : كل فتاة تتصرف بطريقتها في حالات كهذه. الأميرة وحدها تستطيع أن تقرر ماذا عليها أن تفعل.

يُفتح الباب. تظهر الأميرة عند المدخل. إنها ترتدي ملابس الرجال، تحمل سيفاً، في حزامها مسدسات.

سيد البيت: ها هاها! فتاة ممتازة! أحسنت!

الملك : ابنتي! ما بك؟ لماذا تخيفينني؟ إلى أين أنت ذاهبة؟

الأميرة : لن أخبر أحداً بذلك. ليسرجوا الجواد.

الملك : أجل، أجل، سنسافر سنسافر.

الوزير الإداري: رائع! أيها الجلاد، اذهب من فضلك يا عزيزي. سيطعمونك هناك. ابعدوا الساعة الرملية. إلى العربات أيها الحاشية.

الأميرة : اسكتوا. ***(تقترب من أبيها)*** أحبك كثيراً يا أبي، لا تغضب مني، لكنني سأسافر وحدي.

الملك : لا.

الأميرة : أقسم أنني سأقتل كل من يلحق بي. تذكروا ذلك جميعاً.

الملك : حتى أنا؟

الأميرة : لدي الآن حياتي الخاصة. لا أحد يفهم شيئاً، لن أخبر أحداً بشيء أكثر من ذلك. أنا وحيدة، وحيدة وأريد أن أكون وحدي. وداعاً! ***(تذهب)***

يقف الملك دون حراك لبعض الوقت مذهولاً، صوت حوافر الجواد يعيده إلى رشده. يندفع نحو النافذة.

الملك : إنها تمتطي الجواد! لا تتبع الطريق! إلى الجبال! ستضيع! ستصاب بالبرد! ستسقط عن السرج

وتتشربك في الركاب. وراءها. اتبعوها. ماذا تنتظرون؟

الوزير الإداري: صاحب الجلالة! لقد أقسمت الأميرة أنها ستطلق النار على كل من يتجرأ على اللحاق بها.

الملك : لا يهم. سأراقبها عن بعد. سأزحف خلف الحجرات. خلف الشجيرات. سأختبئ في العشب من ابنتي لكنني لن أتخلى عنها. اتبعوني.

يخرج. يلحق به أفراد الحاشية.

سيدة البيت: حسناً؟ هل أنت راضٍ؟

سيد البيت : جداً.

الفصل الثاني

غرفة في حانة «إميليا». مساء متأخر. تتوقد النار في الموقد. الغرفة مضاءة ومريحة. ترتجف الجدران من هبات الريح اليائسة. خلف المنضدة صاحب الخان. إنه شخص صغير، سريع، رشيق، أنيق في حركاته.

صاحب الخان: يا له من طقس! عاصفة ثلجية، إعصار، أكوام ثلجية، انهيارات. حتى الماعز البري خاف والتجأ إلى باحتي طالباً المساعدة. كم من سنين عشت هنا، على قمة الجبل، بين الثلوج الأبدية، لكنني لا أذكر عاصفة كهذه. جيّد أن حانتي متينة العمارة كقصر جيد، المخازن مليئة، النار تتقد. حانة «إميليا»! حانة «إميليا! إميليا».. أجل، أجل.. يمر الصيادون، يعبر الحطابون.. يجرّون جذوع الصنوبر لصناعة السواري، يسير المسافرون الجوالون متثاقلين

لا أحد يعلم إلى أين، ولا من أين، وكلهم سيقرعون الجرس، يدقون الباب، يدخلون ليستريحوا، ليتكلموا، ليضحكوا، ليشتكوا. وكل مرة آمل كالأحمق أنها بمعجزة ما ستدخل إلى هنا. لا بد أن شعرها قد شاب الآن. شائب. متزوجة منذ زمن.. لكنني رغم ذلك أحلم لو أسمع صوتها فقط. إميليا، إميليا..

يرن الجرس.

يا إلهي!

يُقرع الباب. يندفع صاحب الحان ليفتحه.

ادخلوا! تفضلوا بالدخول!

يدخل الملك، الوزير، أفراد الحاشية. كلهم ملفوفين بالأردية من رؤوسهم حتى أقدامهم، يغطيهم الثلج.

اقتربوا من الموقد أيها السادة، إلى الموقد. لا تبكين أيتها السيدات، أرجوكن! أفهم أن من الصعب عدم الشعور بالإساءة حين يضربونكن على الوجه، يدسّون الثلج في القبّات، يدفعونكن إلى كومة ثلج، لكن العاصفة تفعل ذلك دون أية ضغينة، دون قصد. ما إن اشتدت العاصفة حتى أصبح الجميع هنا. اسمحوا لي، سأساعدكم. هكذا. تفضلوا نبيذاً ساخناً. هكذا.

الوزير : يا له من نبيذ رائع.

صاحب الخان: أشكرك. زرعت الكرمة بيدي، عصرت العنب بنفسي، عتّقت النبيذ في مخازني بنفسي، وبيدي أقدمه للناس. أفعل كل شيء بنفسي. في شبابي كنت أكره الناس، لكن هذا ممل جداً. فعندها لا يعود المرء راغباً بفعل شيء وتستحوذ عليه أفكار عقيمة حزينة. وها قد بدأت أخدم الناس، وتدريجياً تعلقت بهم. أترغبن بحليب ساخن أيتها السيدات؟ أجل، أنا أخدم الناس وأعتز بذلك. أنا أعتبر أن صاحب الخان أعلى مكانة من اسكندر المقدوني. فذاك كان يقتل الناس أما أنا فأطعمهم، أسلّيهم، أحميهم من الطقس الرديء. بالطبع أنا أتقاضى المال مقابل ذلك، لكن حتى المقدوني لم يكن يعمل مجاناً. مزيداً من النبيذ، تفضلوا. مع من أتشرف بالحديث؟ في جميع الأحوال كما تشاؤون. فقد اعتدت ألا يفصح المسافرون عن أسمائهم.

الملك : أنا ملك يا صاحب الخان.

صاحب الخان: طاب مساؤك يا صاحب الجلالة.

الملك : ومساؤك أيضاً. أنا تعيس جداً يا صاحب الخان.

صاحب الخان: يحدث ذلك يا صاحب الجلالة.

الملك : تكذب، فأنا يائس إلى أبعد حد. أثناء هذه العاصفة الملعونة شعرت ببعض الارتياح. أما الآن بعد أن تدفأت، عادت إلي الحياة وعادت جميع مخاوفي ومصائبي إلى الحياة معي. يا له من أمر مشين. أعطني مزيداً من النبيذ.

صاحب الخان: تفضل.

الملك : لقد اختفت ابنتي.

صاحب الخان: آه آهآه.

الملك : هؤلاء الكسالى، هؤلاء الطفيليون تركوا الطفلة دون مراقبة. ابنتي وقعت في الحب، تشاجرت، لبست ثياب الصِبية واختفت. هل مرّت بك؟

صاحب الخان: للأسف لا، يا صاحب الجلالة.

الملك : من يسكن في الخان؟

صاحب الخان: صياد مشهور مع تلميذين.

الملك : صياد ؟ ناده ! ربما التقى ابنتي. فالصيادون يصطادون في كل مكان.

صاحب الخان: للأسف يا صاحب الجلالة فهذا الصياد لم يعد صياداً أبداً الآن.

الملك : ماذا يفعل إذاً؟

صاحب الخان: يعيش على أمجاده. لقد حصل حتى الآن على خمسين شهادة تؤكد أنه مشهور، وأنه أطلق النار على ستين شخصاً شككوا في موهبته.

الملك : وماذا يفعل هنا؟

صاحب الخان: يرتاح. هل هناك ما هو أكثر إنهاكاً من صراع الإنسان على مجده الخاص؟

الملك : حسناً، ليذهب إلى الشيطان إذاً. هيه، أنتم هناك، أيها المحكومون بالإعدام! لننطلق!

صاحب الخان: إلى أين يا صاحب الجلالة؟ تريّث. أنتم تسيرون إلى موت أكيد.

الملك : وما دخلك في الأمر؟ أشعر براحة أكبر حين يلطم الثلج الوجوه ويدفع المرء من رقبته. انهضوا.

ينهض أفراد الحاشية.

صاحب الخان: مهلاً يا صاحب الجلالة. لا داعي لتقلّب الأطوار، لا داعي لتحشر نفسك بين مخالب الشيطان نفسه معاكساً قدرك. أفهم جيداً أنَّ مِنَ الصعب على المرء البقاء في مكانه حين تحلّ المصيبة.

الملك : بل مستحيل.

صاحب الخان: لكن قد تضطر إلى ذلك أحياناً. ففي ليلة كهذه لن تستطيع العثور على أحد، بل ستختفي أنت نفسك دون أثر.

الملك : وليكن!

صاحب الخان: لا يجوز أن تفكر بنفسك فقط. فأنت لم تعد صغيراً والحمد لله، بل رب أسرة. لا، لا، لا. لا داعي للعبوس، وشَد القبضات والصرير بالأسنان.. اسمع نصيحتي. أنا أتكلم بطريقة عملية. فندقي مجهز بكل ما يمكن أن يعود بالفائدة على الضيوف. هل سبق أن سمعت بأن الناس قد تعلموا الآن تبادل الأفكار عن بعد؟

الملك : حاول علماء البلاط أن يحكوا لي شيئاً عن هذا لكنني غرقت في النوم.

صاحب الخان: وعبثاً! سأسأل جيراني الآن عن الأميرة المسكينة دون أن أغادر هذه الغرفة.

الملك : حقاً؟

صاحب الخان: سترى. هناك دير على مسافة خمس ساعات من هنا، يعمل فيه أفضل صديق لي بصفة مدبّر اقتصادي. إنه أكثر الرهبان فضولاً على وجه

الأرض. إنه يعرف كل ما يجري على مسافة مئة فرسخ[1] حوله. سأبلغه الآن بكل المطلوب وأتلقى الجواب بعد عدة ثوان. هدوءاً! هدوءاً يا أصدقائي، لا تتحركوا، لا تتنهدوا بهذا الإرهاق. يجب أن أركز. إذاً. سأقوم بإرسال أفكاري عن بعد. « آو! آو! غوب غوب! دير الرهبان، الصومعة تسعة، للأب المدبّر الاقتصادي. أيها الأب. غوب غوب! آو! تاهت في الجبال فتاة ترتدي لباس الرجال. أخبرنا أين هي. قبلاتي. صاحب الخان». ها قد انتهيت. لا داعي للبكاء سيداتي. أنا أولّف نفسي على الاستقبال، لكن دموع النساء تشعرني بالحزن. هكذا. أشكركن. هدوءاً! أنتقل إلى الاستقبال. «خان «إميليا». لصاحب الخان. لا أعرف للأسف. أرسل للدير قطعتين مطبوختين من لحم الماعز الأسود.» فهمت كل شيء. الأب المدبّر لا يعرف مكان الأميرة للأسف ويطلب إرسال المؤن للدير..

الملك : لتذهب المؤن إلى الشيطان. اسأل جيراناً آخرين.

---

(١) فيرست: وحدة قياس تساوي ١٠٦٠ متراً.

صاحب الخان: للأسف يا صاحب الجلالة فإن كان الأب المدبّر لا يعرف شيئاً فالآخرون لا يعرفون شيئاً بالتأكيد.

الملك : سأبتلع الآن برميلاً من البارود، أضرب نفسي على بطني وأنفجر إلى أشلاء.

صاحب الخان:هذه الطرق المنزلية لا تساعد في شيء أبداً. ***(يأخذ ربطة مفاتيح)***. سأخصص لك أكبر غرفة يا صاحب الجلالة.

الملك : وماذا سأفعل فيها؟

صاحب الخان: تسير من زاوية إلى أخرى. وعند الفجر سننطلق سوياً للبحث. أؤكد لك. إليك المفتاح. وأنتم أيها السادة استلموا مفاتيح غرفكم. هذا أكثر الأعمال حكمة يمكنكم أن تفعلوها اليوم. يجب أن ترتاحوا يا أصدقائي،لتستعيدوا قواكم. خذوا الشموع. هكذا. اتبعوني من فضلكم.

يغادر برفقة الملك وأفراد الحاشية. في اللحظة نفسها يدخل إلى الغرفة تلميذ الصياد المشهور. وبعد أن يتلفت حوله بحذر، يصرخ مقلداً صوت طائر السمّان. يجيبه صوت زقزقة الزرزور، ويطل الصياد إلى الغرفة.

التلميذ : تشجع، ادخل. لا يوجد أحد هنا.

الصياد : إن كان من أتى إلى هنا صيادون، فسأطلق النار على نفسي كالأرنب.

التلميذ : وأنا ما علاقتي بهذا الأمر! يا إلهي!

الصياد : اصمت. أينما ذهبت لأرتاح التقي دائماً بهؤلاء الصيادين الملعونين.أكرههم. وفوق ذلك كله تناقش زوجاتهم أمور الصيد بالطول وبالعرض. تفوه! أنت غبي!

التلميذ : يا إلهي! وأنا ما علاقتي بالأمر؟

الصياد : ليكن في علمك: إنْ تبيّن أن هؤلاء المسافرين صيادون، فسنغادر على الفور. غبي. القتل قليل عليك.

التلميذ : ما هذه المصيبة؟ لماذا تعذبني أيها المعلم! فأنا..

الصياد : اصمت. اصمت حين يغضب الكبار. ماذا تريد؟ تريدني أنا، الصياد الأصيل أن أستهلك ذخيرتي عبثاً؟ لا يا أخي. لهذا السبب لدي تلاميذ، كي يمُسَّ سِبابي أحدٌ ما. ليس لديّ أسرة، إذاً فعليك أنت أن تحتملني. هل أرسلت الرسائل؟

التلميذ : أوصلتها قبل العاصفة. وفي طريق عودتي..

الصياد: اسكت. هل أرسلت كل شيء؟ وحتى ما في الظرف الكبير؟ لمدير الصيد؟

التلميذ: كل شيء، كل شيء. وفي طريق عودتي رأيت آثاراً. لأرانب وثعالب.

الصياد: لتذهب الآثار إلى الشيطان. هل عندي وقت للاهتمام بالتفاهات بينما يحفر لي الأغبياء والحساد في الأسفل حفرة..

التلميذ : وما أدراك أنهم يحفرون؟

الصياد : يحفرون، أنا أعرفهم.

التلميذ : وليكن. كان بإمكاننا أن نصطاد جبلاً كاملاً من طرائد الطير، وعندها كانوا سيحسبون حسابنا.. هم يحفرون لنا حفرة، ونحن نقدم لهم الطرائد، عندها سنكون نحن الشطار وهم الأنذال. لو أننا اصطدنا..

الصياد: حمار. لو أننا اصطدنا.. ما إن يبدؤوا هناك في الأسفل التداول في كل طلقة أطلقتُها، حينها قد أفقد عقلي. مثلاً.. لقد قتل الثعلبة بنفس طريقة العام الماضي، لم يطور أي شيء جديد في مهنة الصيد. وإن كنت، لا سمح الله أخطأت التصويب! أنا الذي كنت حتى الآن أطلق النار دون أن أخطئ الهدف؟

اسكت. سأقتلك. ***(بنعومة شديدة)***. وأين هو تلميذي الجديد؟

التلميذ : ينظف البندقية.

الصياد : شاطر.

التلميذ : بالطبع! تلميذك الجديد هو الشاطر!

الصياد : وماذا في ذلك؟ أولاً أنا لا أعرفه وبإمكاني أن أتوقع منه أية أعجوبة. ثانياً هو لا يعرفني، لذلك يحترمني دون أي تحفظات أو أحكام. على عكسك.

يرن الجرس

يا إلهي! هناك من وصل! في مثل هذا الطقس! أقسم أنه صياد ما خرج في العاصفة عمداً كي يتباهى لاحقاً..

قرع على الباب

افتح أيها الأحمق. كم أرغب بقتلك.

التلميذ : يا إلهي.. وأنا ما علاقتي بالأمر.

يفتح الباب. يدخل الدب مغطى بالثلج، مفجوعاً. ينفض الثلج، يتلفت.

الدب : إلى أين ساقني القدر؟

الصياد : اذهب إلى النار لتتدفأ.

الدب : أشكرك. هل هذا فندق؟

الصياد : أجل. سيأتي صاحبه الآن. هل أنت صياد؟

الدب : أعوذ بالله. أعوذ بالله.

الصياد : لماذا تتكلم بهذا الرعب عن الأمر؟

الدب : لأنني لا أحب الصيادين.

الصياد : وهل تعرفهم أيها الشاب؟

الدب : أجل، التقيت بهم.

الصياد : الصيادون هم من أكثر الناس احتراماً على وجه الأرض. إنهم شباب محترمون وبسطاء. يحبون عملهم. إنهم يغوصون في المستنقعات، يتسلقون قمم الجبال، يتجولون في الغابات الكثيفة حيث يشعر الحيوان نفسه بالرعب. ويفعلون ذلك كله ليس حباً بالربح، ليس من باب الطموح، لا، لا، أبداً. بل يقودهم شغف نبيل! فهمت؟

الدب : لا، لم أفهم. لكن أرجوك دعنا لا نتجادل. لم أكن أعرف أنك تحب الصيادين إلى هذا الحد.

الصياد : من، أنا؟ أنا فقط لا أحتمل حين يشتمهم الغرباء.

الدب : حسناً، لن أشتمهم. فلست في هذا الوارد.

الصياد : أنا نفسي صياد. مشهور.

الدب : مؤسف جداً.

الصياد : اصطدت خلال حياتي، دون الأخذ بالحسبان الطرائد الصغيرة، خمسمئة غزال، خمسمائة عنزة برية، أربعمئة ذئب، وتسعاً وتسعين دباً.

ينهض الدب .

الصياد : ما بك نهضت؟

الدب : قتل الدببة بمثابة قتل الأطفال.

الصياد : يا لهم من أطفال. هل رأيت مخالبهم؟

الدب :أجل. إنها أقصر بكثير من خناجر الصيادين.

الصياد : وقوة الدببة؟

الدب : ما كان يجب إغاظة الحيوان.

الصياد : أنا عاجز عن وصف مقدار استيائي، لذلك سأضطر لإطلاق النار. ***(يصرخ)*** هيه، أيها الصبي. أحضر البندقية إلى هنا. بسرعة. سأقتلك الآن أيها الشاب.

الدب : لا يهمني.

الصياد : أين أنت أيها الصبي؟ البندقية، أحضر لي البندقية.

تدخل الأميرة. تحمل بندقية في يدها. ينتفض الدب .

الصياد *(للأميرة):* انظر أيها التلميذ وتعلم. هذا الوقح الجاهل سيُقتل الآن. لا تشفق عليه. إنه ليس إنساناً لأنه لا يفقه شيئاً في الفن. أعطني البندقية أيها الصبي. ما بك تضمها إليك وكأنها طفل صغير؟

يدخل صاحب الخان.

صاحب الخان: ماذا جرى؟ آه، فهمت. أعطه البندقية أيها الصبي، لا تخف. لقد أفرغت البارود من كل الذخائر بينما كان السيد الصياد المشهور يرتاح بعد الغداء. فأنا أعرف عادات ضيفي المحترم.

الصياد : اللعنة.

صاحب الخان: بل ليست لعنة أبداً يا صديقي العزيز. أنتم أيها المشاغبون العجائز تشعرون بالسعادة في أعماق قلوبكم حين يمسكونكم من أيديكم.

الصياد : وقح.

صاحب الخان: حسناً، لا بأس. الأفضل أن تتناول وجبة مزدوجة من «نقانق الصيادين».

الصياد: هاتها، اللعنة عليك. وكمية مزدوجة من مشروب الصيادين أيضاً.

صاحب الخان: هكذا أفضل بكثير.

الصياد *(للتلميذين)*: اجلسا أيها الصبيان. غداً حين يتحسن الطقس سنذهب إلى الصيد.

التلميذ : مرحى.

الصياد : وقد نسيت بسبب المشاغل والعجلة كم هو فن رفيع ورائع. هذا الأحمق استفزّني.

صاحب الخان: اهدأ أنت. ***(يأخذ الدب إلى زاوية بعيدة، يُجلِسه إلى الطاولة)***. اجلس من فضلك يا سيدي. ما بك؟ هل أنت متوعك؟ سأشفيك في الحال. لدي صيدلية ممتازة للمسافرين.. هل أنت محموم؟

الدب : لا أعرف.. ***(يهمس)*** من هذه الشابة؟

صاحب الخان: فهمت.. أنت تفقد عقلك بسبب قصة حب تعيسة. للأسف لا نفع للأدوية في هذه الحالة.

الدب : من هذه الفتاة؟

صاحب الخان: إنها غير موجودة أيها المسكين.

الدب : كيف غير موجودة؟ ها هي تتهامس مع الصياد.

صاحب الخان: كل هذا يخيّل إليك. فهذا ليس «هي» بل «هو». إنه ببساطة تلميذ الصياد المشهور. أتفهمني؟

الدب : أشكرك. أجل.

الصياد : بماذا تتهامسان عني؟

صاحب الخان: لا نتهامس عنك أنت.

الصياد : لا فرق. لا أطيق أن يتفرّس بي أحد. خذ العشاء إلى غرفتي. اتبعاني أيها التلميذان.

يحمل صاحب الخان الصينية التي عليها العشاء. يتبعه الصياد برفقة التلميذ والأميرة. يندفع الدب خلفهم. فجأة يُفتح الباب قبل أن يصل الدب إليه. الأميرة تقف على العتبة. يصمت الدب والأميرة لبعض الوقت وهما يتبادلان النظرات. لكن ها هي الأميرة تتجاوز الدب وتسير نحو الطاولة التي كانت تجلس إليها، تأخذ منديلاً كانت قد نسيته هناك وتتجه نحو المخرج دون أن تنظر نحو الدب.

الدب : اعذرني.. هل لك أخت؟

تهز الأميرة رأسها نفياً.

اجلس معي لبعض الوقت. أرجوك. المسألة أنك تشبه لدرجة مذهلة فتاة عليّ أن أنساها بأسرع وقت. إلى أين؟

الأميرة : لا أريد أن أذكّر بما يجب نسيانه.

الدب : يا إلهي! حتى الصوت صوتها.

الأميرة : أنت تهذي.

الدب : محتمل جداً. أشعر وكأنني تائه في الضباب.

الأميرة : لماذا؟

الدب : سافرت وسافرت لثلاثة أيام دون استراحة، دون اتجاه محدد. كنت أريد أن أكمل سفري لكن حصاني بكى كالطفل حين أردت تجاوز هذا الفندق.

الأميرة : هل قتلت أحداً؟

الدب : لا، ماذا تقول؟

الأميرة : مِمّن كنت تهرب إذاً وكأنك مجرم؟

الدب : من الحب.

الأميرة : يا لها من قصة طريفة.

الدب : لا تسخر. أنا أعرف: الشباب أناس قساة. فلم يسبق لهم أن اختبروا شيئاً. أنا نفسي كنت هكذا منذ ثلاثة أيام فقط. لكنني أصبحت أكثر حكمة منذ ذلك الحين. هل سبق لك أن وقعت في الحب؟

الأميرة : أنا لا أؤمن بهذه السخافات.

الدب : أنا أيضاً لم أكن أؤمن. ثم وقعت في الحب.

الأميرة : في حب مَنْ لو سمحت لي أن أعرف؟

الدب : في حب تلك الفتاة التي تشبهك كثيراً.

الأميرة : يا له من أمر.

الدب : أرجوك لا تبتسم. لقد وقعت جدّياً في الحب.

الأميرة : نزوة صغيرة ستنساها سريعاً.

الدب : آه.. أنت لا تفهم.. لقد وقعت في الحب وكنت سعيداً. ليس لفترة طويلة، لكن كما لم يسبق لي في حياتي. ثم..

الأميرة : حسناً؟!

الدب : ثم عرفت عن هذه الفتاة ما قلب كل شيء رأساً على عقب بلحظة. وفي النهاية، ولتكتمل المصيبة رأيت فجأة وبوضوح أنها أُغرمت بي أيضاً.

الأميرة : يا لها من صدمة بالنسبة لعاشق.

الدب : في هذه الحالة صدمة مخيفة. وما أخافني.. أخافني أكثر قولها أنها ستقبّلني.

الأميرة : فتاة غبية.

الدب : ماذا؟

الأميرة : بلهاء حقيرة.

الدب : إياك أن تتكلم عنها هكذا.

الأميرة : إنها تستحق ذلك.

الدب : لا يحق لك أن تحكم عليها. إنها شابة رائعة. متواضعة وصريحة، مثلي.. مثلي أنا.

الأميرة : مثلك؟ أنت محتال، متباه وثرثار.

الدب : أنا؟

الأميرة : أجل. تتكلم عن انتصاراتك لأول من تصادفه بزهو مخفي بشكل سيِّئ.

الدب : هكذا فهمتني إذاً؟

الأميرة : أجل، هكذا بالضبط. إنها حمقاء..

الدب : رجاء تكلم عنها باحترام.

الأميرة : إنها حمقاء، حمقاء، حمقاء.

الدب : يكفي. الجراء الوقحة تنال عقابها. ***(يسحب السيف)*** دافع عن نفسك.

الأميرة : أنا في خدمتك.

يتبارزان بضراوة.

كنت أستطيع قتلكَ مرتين.

الدب : وأنا أبحث عن الموت أيها الصبي.

الأميرة : لِمَ لمْ تمت دون مساعدة من الآخرين؟

الدب : صحتي لا تسمح لي.

يهجم. يُسقط القبعة عن رأس الأميرة. تسقط جدائلها الثقيلة حتى الأرض تقريباً. يُوقع الدب سيفه.

أيتها الأميرة! يا للسعادة، يا للمصيبة! أنت! لِمَ أنت هنا؟

الأميرة : ثلاثة أيام وأنا ألحق بك لكنني فقدت أثرك في العاصفة، التقيت بالصياد وقررت أن أصبح تلميذته.

الدب : لحقتِ بي ثلاثة أيام؟

الأميرة : أجل. كي أخبرك أنني لا أكترث بك. فلتعلم، أنك بالنسبة لي بمثابة.. بمثابة جدّة، وفوق ذلك غريبة. وليس لديّ نية أن أقبّلك. ولم أكن أنوي مطلقاً الوقوع في غرامك. وداعاً. ***(تذهب. تعود)*** لقد أسأتَ إلي،لذلك سأنتقم منك مهما كلف الأمر. سأثبت لك كم أني لا أكترث بك. سأثبت لك حتى لو كلفني ذلك حياتي. ***(تذهب)***.

الدب : يجب أن أهرب.. أهرب بسرعة. كانت غاضبة تشتمني وأنا لم أكن أرى سوى شفتيها وأفكر، أفكر بشيء واحد فقط: سأقبّلها الآن. دب ملعون. يجب أن أهرب، أهرب.وماذا لو ألقيت عليها نظرة أخيرة؟ نظرة أخيرة واحدة فقط. عيناها صافيتان جداً. وهي هنا، هنا بالقرب خلف الجدار. ما علي

سوى القيام بعدة خطوات و.. ***(يضحك)*** من كان يظن.. إنها في بيت واحد معي. يا للسعادة. ماذا أفعل! سأُهلكها وأهلك نفسي. هيه، أنت أيها الوحش. اذهب من هنا. انطلق في طريقك.

يدخل صاحب الخان.

الدب : أنا مغادر.

صاحب الخان: هذا مستحيل.

الدب : أنا لا أخاف الإعصار.

صاحب الخان: بالطبع، بالطبع. لكن ألا تسمع كم صار الجو هادئاً؟

الدب : معك حق. لماذا؟

صاحب الخان: حاولت الخروج الآن إلى الباحة لأرى إن كان سقف المخزن الجديد ما يزال في مكانه لكنني لم أستطع.

الدب : لم تستطع؟

صاحب الخان: نحن مطمورون تحت الثلج. ففي نصف الساعة الأخيرة لم تكن تتساقط من السماء ندفٌ بل أكوام ثلجية كاملة. صديقي القديم، الساحر الجبلي، تزوج وتقاعد، وإلا لتأكدت تماماً أنها مشاكساته.

الدب: إن كان السفر مستحيلاً، أقفل عليّ إذاً.

صاحب الخان: أقفل عليك؟

الدب: أجل، أجل بالمفتاح.

صاحب الخان: لماذا؟

الدب: يجب ألا ألتقي بها. أنا أحبها.

صاحب الخان: من؟

الدب: الأميرة.

صاحب الخان: هل هي هنا؟

الدب: هنا. لقد تنكرت بملابس الرجال. لقد عرفتُها على الفور وأنت لم تصدقني.

صاحب الخان: إذاً فقد كانت هي بحق؟

الدب: هي. يا إلهي.. الآن فقط، حين لم أعد أراها، بدأت أفهم كيف أهانتني.

صاحب الخان: لا.

الدب: كيف لا؟ هل سمِعتَ ما قالته لي هنا؟

صاحب الخان: لم أسمع، لكن هذا لا يهم. لقد عايشتُ الكثير لذلك أفهم كل شيء.

الدب: من أعماق روحي، شكوت لها قدري المرّ كأني أبوح لرفيق، أما هي فاسترقّت السمع إلي كخائنة.

صاحب الخان: لا أفهم. هي استرقّت السمع فيما كنتَ تشكو لها هي بذاتها؟

الدب : آه، فحينها كنت أظن أنني أتكلم مع شاب يشبهها. أن تفهمني بهذه الطريقة! انتهى الآن كل شيء. لن أقول لها كلمة واحدة أخرى. هذا لا يغتفر. حين يُفتح الطريق سأنظر إليها بصمت مرة واحدة فقط وأسافر. اقفل عليّ، اقفل عليّ.

صاحب الخان: إليك المفتاح. اذهب. ها هي غرفتك. لا، لا، لن أقفل عليك. في الباب قفل جديد، وسأتأسف عليه إن قمت بكسره. تصبح على خير. اذهب، اذهب إذاً.

الدب : تصبح على خير. **(يذهب)**.

صاحب الخان: ليلة هادئة. لكنك لن تعثر عليه، لن تعثر على الهدوء في أي مكان. اسجن نفسك في الدير، الوحدة ستذكّرك بها. افتح خاناً قرب الطريق، كل طرقة على الباب ستذكرك بها.

تدخل سيدة البلاط.

سيدة البلاط: اعذرني لكن الشمعة في غرفتي تنطفئ باستمرار.

صاحب الخان: إميليا. هل هذا صحيح؟ فاسمك إميليا؟

سيدة البلاط : أجل، هذا هو اسمي. لكن يا سيدي..

صاحب الخان: إميليا.

سيدة البلاط : اللعنة علي..

صاحب الخان: هل عرفتني؟

سيدة البلاط : إميل..

صاحب الخان: كان هذا اسم الشاب الذي أرغمته فتاة قاسية على الهرب بعيداً جداً، إلى الجبال، إلى الثلوج الأبدية.

سيدة البلاط : لا تنظر إليّ. وجهي تقشّر من الهواء. ليذهب كل شيء إلى الشيطان في جميع الأحوال. انظر. هذا ما أنا عليه. مضحك؟

صاحب الخان: أنا أراك كما كنتِ قبل خمسة وعشرين عاماً.

سيدة البلاط : اللعنة.

صاحب الخان: في أكثر الحفلات التنكرية ازدحاماً بالناس، كنت أتعرف إليك تحت أي قناع.

سيدة البلاط : أذكر.

صاحب الخان: لا يهمني القناع الذي ألبسك إياه الزمن.

سيدة البلاط : لكنك لم تتعرف إلي على الفور.

صاحب الخان: لقد كنتِ ملفوفة كثيراً بالأردية. لا تضحكي.

سيدة البلاط: نسيت كيفية البكاء. لقد تعرفتَ علي لكنك لا تعرفني. أصبحتُ حقودة، خاصة في الفترة الأخيرة. ألديك غليون؟

صاحب الخان: غليون؟

سيدة البلاط : أنا أدخن في الفترة الأخيرة. في السر. تبغ البحارة. عقار جهنمي. بسبب هذا التبغ بالذات كانت الشمعة تنطفئ طوال الوقت في غرفتي. جربت حتى الشراب. لم يعجبني. هذا ما أصبحتُ عليه الآن.

صاحب الخان: لقد كنتِ دائماً هكذا.

سيدة البلاط : أنا؟

صاحب الخان: أجل. دائماً كان لديك طبع عنيد وأبيّ، وهو يتجلى الآن بطريقة جديدة. هذا هو الفرق كله. هل كنت متزوجة؟

سيدة البلاط : كنت.

صاحب الخان: بمن؟

سيدة البلاط : لم تكن تعرفه.

صاحب الخان:أهو هنا؟

سيدة البلاط : مات.

صاحب الخان: وأنا كنت أظن أن ذلك الوصيف الشاب قد أصبح زوجك.

سيدة البلاط : لقد مات أيضاً.

صاحب الخان: هكذا إذاً؟ كيف؟

سيدة البلاط : غرق، حين انطلق للبحث عن ابنه الذي جرفته العاصفة إلى البحر. أنقذت سفينة تجارية الابن، أما الأب فغرق.

صاحب الخان: هكذا إذاً. إذاً فالوصيف الشاب..

سيدة البلاط : أصبح عالماً أشيب ومات بينما أنت ما تزال غاضباً منه.

صاحب الخان: كنتِ تقبّلينه على الشرفة.

سيدة البلاط : وأنت كنت تراقص ابنة الجنرال.

صاحب الخان: الرقص تصرف لائق.

سيدة البلاط : اللعنة. كنت تهمس شيئاً في أذنها طوال الوقت.

صاحب الخان: كنت أهمس لها: واحد، اثنان، ثلاثة! واحد، اثنان، ثلاثة! واحد، اثنان، ثلاثة! كانت لا تستطيع ضبط الإيقاع طوال الوقت.

سيدة البلاط : مضحك.

صاحب الخان: مضحك جداً. لدرجة البكاء..

سيدة البلاط :ما الذي دفعك للاعتقاد أننا لو تزوجنا لكنا سعداء؟

صاحب الخان: وهل تشكّين بذلك؟ أجل؟ لماذا تصمتين؟

سيدة البلاط : لا يوجد حب أبدي.

صاحب الخان:عند نُضُد الخان سمعت أشياء كثيرة عن الحب. وأنت لا يناسبك أن تتكلمي هكذا. فقد كنتِ على الدوام حكيمة ودقيقة الملاحظة.

سيدة البلاط : حسناً. سامحني أنا الملعونة لأنني كنت أتبادل القبلات مع ذلك الصبي. أعطني يدك.

إميل وإميليا يتصافحان.

ها قد انتهى الأمر. لا يمكنك أن تبدأ حياتك من جديد.

صاحب الخان: لا يهم. أنا سعيد لأنني أراك.

سيدة البلاط : أنا أيضاً. وهذا أكثر غباءً. حسناً. لقد نسيت الآن كيفية البكاء. أضحك أو أشتم فقط. لنتكلم بموضوع آخر إن كنتَ لا ترغب أن أشتم كالحوذي أو أضحك كالحصان.

صاحب الخان: أجل، أجل. لدينا ما نتكلم عنه. في منزلي طفلان عاشقان قد يهلكان إن لم نساعدهما.

سيدة البلاط : من هذان المسكينان؟

صاحب الخان: الأميرة وذلك الشاب الذي هربت بسببه من المنزل. لقد وصل إلى هنا بعدكم.

سيدة البلاط : هل التقيا؟

صاحب الخان: أجل.. وتشاجرا أيضاً.

سيدة البلاط : فلتُقرع الطبول.

صاحب الخان: ماذا تقولين؟

سيدة البلاط : انفخوا في الأبواق.

صاحب الخان: أية أبواق؟

سيدة البلاط : لا تُلقِ بالاً. عادة من عادات البلاط. هكذا يصدرون الأوامر في حال حدوث حريق، طوفان أو إعصار. أيها الحرس، إلى البنادق! يجب أن نتّخذ تدبيراً ما على الفور. سأذهب وأبلغ الملك. سيهلك الأولاد. استلّوا السيوف! استعدوا للمعركة! استعدوا للمواجهة! ***(تهرب)***.

صاحب الخان: فهمت كل شيء. كانت إميليا متزوجة من قومندان البلاط. انفخوا في الأبواق! اقرعوا الطبول! استلّوا السيوف! تدخن. تشتم. إميليا المسكينة، العزيزة، الرقيقة. هل كان يدرك ممن هو متزوج، هذا الفظ الملعون، لتتنزل رحمة السماء عليه.

يدخل الملك، الوزير الأول، الوزير الإداري، الوصيفات، سيدة البلاط.

الملك : هل رأيتها؟

صاحب الخان: أجل.

الملك : شاحبة، نحيلة، بالكاد تقف على قدميها؟

صاحب الخان: ملفوحة بالشمس، تأكل جيداً، تجري كالصبي.

الملك : ها هاها! أحسنت صنعاً.

صاحب الخان: شكراً.

الملك : ليس أنت،بل هي. في جميع الأحوال لا يهم، أَنعِم بذلك. وهو أيضاً هنا؟

صاحب الخان: أجل.

الملك : عاشق؟

صاحب الخان: كثيراً.

الملك : ها هاها. هكذا. هكذا نحن. يتعذب؟

صاحب الخان: بشكل مرعب.

الملك : يستحق ذلك. ها هاها. هو يتعذب وهي حيّة، سليمة، هادئة مرحة..

يدخل الصياد، يرافقه التلميذ.

الصياد : أعطني القطرة.

صاحب الخان: أية قطرة؟

الصياد : وما أدراني؟ تلميذي يشعر بالحزن..

صاحب الخان: هذا؟

التلميذ : هذا ما كان ينقصني. قد أموت وهو لن يلاحظ ذلك حتى.

الصياد : تلميذي الجديد يشعر بالحزن، لا يأكل، لا يشرب، يجيب إجابات ليست في مكانها.

الملك : الأميرة؟

الصياد : من؟ من؟

صاحب الخان: تلميذك الجديد أميرة متنكرة.

التلميذ : ليأكلك الذئب. وأنا كدتُ أضربها على عنقها.

الصياد ***(للتلميذ)***: وغد! حقير! لا تستطيع تمييز الصبي من البنت.

التلميذ : أنت لم تميز أيضاً.

الصياد : ليس لدي وقت لأشغل نفسي بتفاهات كهذه.

الملك : أسكت أنت. أين الأميرة؟

الصياد : هيه هيه.. لا تصرخ يا عزيزي. فمهنتي تتطلب الدقة وتستفز الأعصاب. أنا لا أتحمل الصراخ. سأقتلك وأتنصّل من المسؤولية.

صاحب الخان: هذا الملك.

الصياد : أوه! ***(ينحني)*** اعذرني يا صاحب الجلالة.

الملك : أين ابنتي؟

الصياد : جلالتها جالسة قرب الموقد في غرفتي. جالسة تنظر إلى الجمر.

الملك : رافقني إليها.

الصياد : سعيد بتقديم خدمة لك يا صاحب الجلالة. تفضل إلى هنا يا صاحب الجلالة. سأرافقك وأنت ستعطيني شهادة. بما معناه أنني كنت أعلّم ابنة الملك فن الصيد النبيل.

الملك : حسناً، فيما بعد.

الصياد : أشكرك يا صاحب الجلالة.

يذهبان. الوزير الإداري يغلق أذنيه.

الوزير الإداري: الآن.. الآن سنسمع إطلاق النار.

صاحب الخان: أي إطلاق نار؟

الوزير الإداري: لقد أقسمت الأميرة بأنها ستطلق النار على كل من يحاول اللحاق بها.

سيدة البلاط: لن تطلق النار على أبيها.

الوزير الإداري: أنا أعرف البشر. مقابل كلمة شرف لن ترحم حتى أبيها.

صاحب الخان: ولم يخطر لي أن أفرغ الذخيرة من مسدسات التلميذين..

سيدة البلاط : لنذهب إلى هناك. لنحاول إقناعها.

الوزير : هدوء. الملك يعود. إنه غاضب.

الوزير الإداري: سيبدأ بالإعدام مجدداً. وأنا في جميع الأحوال مصاب بالبرد. ليس هناك عمل مضرّأكثر من عمل حاشية البلاط.

يدخل الملك والصياد .

الملك ***(بصوت خفيض وبساطة):*** أنا في مصيبة كبيرة. إنها جالسة هناك عند النار، هادئة، مسكينة. وحيدة، أتسمعون؟ وحيدة! تَركَت المنزل لتبتعد عن مشاكلي. وحتى لو أحضرتُ جيشاً كاملاً ووضعت بين يديها كل العظمة الملكية فلن يساعدها هذا. كيف حصل هذا؟ ماذا علي أن أفعل؟ أنا كبّرتُها، حافظت عليها، أما الآن وفجأة لا أستطيع مساعدتها. لقد هربت مني بعيداً. اذهبْ إليها. استفسرْ منها. ربما نستطيع أن نساعدها رغم كل شيء؟ اذهبْ.

الوزير الإداري: ستُطلق النار يا صاحب الجلالة.

الملك : وماذا في ذلك؟ فأنت في كل الأحوال محكوم عليك بالموت. يا إلهي. لِمَ يتغير كل شيء هكذا في عالمك؟ أين هي ابنتي الصغيرة؟ هناك شابة عنيدة مُهانة تجلس قرب النار. أجل، أجل، مهانة. أنا أرى ذلك. لقد أهنتُ الكثيرات بدوري خلال حياتي. اسألها ما الذي فعله لها؟ كيف علي أن أتصرف معه؟ أعاقبه؟ هذا أستطيع فعله. أكلّمه؟ ممكن. حسناً. اذهبْ.

صاحب الخان:اسمح لي أيها الملك أن أتكلم مع الأميرة.

الملك : ممنوع. ليذهب إلى ابنتي أحد المقربين.

صاحب الخان: المقربون تحديداً يبدون للعشاق غرباء.كل شيء تغير بينما بقي المقربون كما كانوا.

الملك : لم أفكر بذلك. أنت محق تماماً. لكن رغم ذلك لن أغير أمري.

صاحب الخان: لماذا؟

الملك : لماذا، لماذا.. لأنني طاغية. لقد استيقظت خالتي داخلي، غبية لا يمكن إصلاحها. أعطوني القبعة.

الوزير يعطي القبعة للملك .

أعطوني ورقاً.

صاحب الخان يعطي الملك أوراقاً .

سنرمي القرعة. هكذا، هكذا.. كل شيء جاهز. من يُخرج الورقة التي عليها صليب، سيذهب إلى الأميرة.

سيدة البلاط: اسمح لي أن أكلّم الأميرة دون أية صلبان يا صاحب الجلالة. لدي ما أقوله لها.

الملك : لن أسمح. أنا مُستَفَزّ! ملك أنا أم لستُ ملك؟ القرعة، القرعة. أيها الوزير الأول! أنت أولاً.

الوزير يسحب القرعة، يفتح الورقة.

الوزير : للأسف يا صاحب الجلالة!

الوزير الإداري: الحمد لله.

الوزير : ليس هناك صليب على الورقة.

الوزير الإداري: لِمَ صرختَ إذاً «للأسف» يا أبله؟

الملك : هدوء. دورك يا سيدتي.

سيدة البلاط: علي الذهاب يا صاحب الجلالة.

الوزير الإداري:أهنئك من كل قلبي. ليرحمك الله.

الملك : أرني الورقة يا سيدتي! ***(يخطف القرعة من يد سيدة البلاط، يتفحصها، يهز برأسه)*** أنت كاذبة يا سيدتي! يا له من شعب عنيد. يبذل أقصى جهده ليستغفل ملكه المسكين. التالي. ***(للوزير الإداري)*** اسحب القرعة يا سيدي. إلى أين؟ أين تدسّ يدك؟ افتح عينيك يا عزيزي. ها هي، ها هي القبعة أمامك.

يسحب الوزير الإداري القرعة، ينظر.

الوزير الإداري: ها هاها.

الملك : ما الـــ ها هاها؟

الوزير الإداري: أي كنت أريد أن أقول: للأسف! أقسم، ولتنخسف بي الأرض، أنا لا أرى أي صليب. آه آهآه يا له من أمر مؤسف. التالي.

الملك : أعطني قرعتك.

الوزير الإداري: من؟

الملك : الورقة! بسرعة! ***(ينظر إلى الورقة)***. لا يوجد صليب؟

الوزير الإداري: لا.

الملك : وما هذا؟

الوزير الإداري: وهل هذا صليب؟ هذا مضحك بحق. إنه أشبه بحرف X.

الملك : لا يا عزيزي، هذا هو بالتحديد. اذهبْ.

الوزير الإداري: أيها الناس، أيها الناس عودوا إلى رشدكم. ماذا تفعلون؟ لقد تركنا أشغالنا، نسينا مراتبنا، انطلقنا إلى الجبال عبر جسور ملعونة، وطرق جبلية ضيقة. ما الذي أوصلنا إلى هذا؟

سيدة البلاط: الحب.

الوزير الإداري: لنتكلم بجدية أيها السادة. لا يوجد أي حب في العالم.

صاحب الخان: يوجد.

الوزير الإداري: أنت بالذات عيب عليك التظاهر. شخص يعمل بالتجارة، لديه عمله الخاص.

صاحب الخان:ورغم ذلك آخذ على عاتقي إثبات أن الحب موجود في العالم.

الوزير الإداري: بل لا يوجد. أنا لا أثق بالناس، فأنا أعرفهم جيداً جداً، وأنا نفسي لم أقع في الحب مرة واحدة. بالتالي، ليس هناك حب. وبالتالي يرسلونني إلى موت محتم بسبب ترّهة، خرافة، مكان فارغ.

الملك : لا تؤخرني يا عزيزي. لا تكن أنانياً.

الوزير الإداري: حسناً يا صاحب الجلالة، لن أكون كذلك، لكن استمع إليّ. حين يزحف المهرّب عبر الهاوية فوق عود من الخشب، أو يبحر تاجر في قارب صغير عبر المحيط الكبير فهذا أمر يدعو للاحترام، ومفهوم. هؤلاء أناس يجنون مالاً. ولكن من أجل ماذا علي أن أفقد رأسي؟ ما تسمّونه أنتم حباً هو أمر مشين بعض الشيء، مضحك بالقدر الكافي وممتع جداً. ما دخل الموت بكل هذا؟

سيدة البلاط: اصمت أيها الحقير.

الوزير الإداري: مُرها ألا تشتم يا صاحب الجلالة. لا داعي يا سيدتي، لا داعي أن تنظري إليّ وكأنك بالفعل مقتنعة بما تقولين. لا داعي، لا داعي. كل الناس خنازير، لكن بعضهم فقط يعترف بذلك والآخرون يتلكؤون. لستُ حقيراً، لست شريراً، لكن كل هؤلاء

المُعذبين النبلاء، المبشرين المتجولين، المغنين الجوالين، الموسيقيين الفقراء ثرثارون أنذال. أنا واضح، وأيٌّ كان يستطيع أن يفهم ماذا أريد. آخذ القليل من كل واحد ولا أعود غاضباً، أُصبِح فرحاً، أهدأ، أجلس وأطقطق بالمعداد(١).أما هؤلاء الذين ينفخون المشاعر، يعذّبون الأرواح البشرية فهم بالفعل أشرار، قتلة طلقاء. هم الذين يكذبون، وكأن الضمير موجود في الطبيعة، يؤكدون أن التعاطف رائع، يمتدحون الوفاء، يعلّمون الجرأة ويدفعون إلى الموت أغبياء غُرِّر بهم. هم الذين اخترعوا الحب. إنه غير موجود. صدقوا ما يقوله رجل محترم ميسور.

الملك : لِم تعاني الأميرة إذاً؟

الوزير الإداري: لأنها صغيرة السن يا صاحب الجلالة.

الملك : حسناً. لفظتَ الكلمات الأخيرة للمحكوم بالموت وكفى. لن أرحمك رغم ذلك. اذهب. ولا كلمة. وإلا أطلقت عليك النار.

---

(١) آلة قديمة ذات حبات خشبية تستخدم للحساب.

يذهب الوزير الإداري مترنحاً.

يا له من شيطان. لماذا كنتُ أصغي إليه؟ لقد أيقظ داخلي عمةً كان يمكن لأيٍ كانْ إقناعها بما يريد. تزوجت المسكينة ثماني عشرة مرة دون حساب التسليات الخفيفة. ربما بالفعل ليس هناك أي حب في العالم؟ ربما،ببساطة، الأميرة مصابة بالتهاب اللوزتين أو القصبات بينما أنا أتعذب.

سيدة البلاط: يا صاحب الجلالة..

الملك : اصمتي يا سيدتي. أنت امرأة محترمة، مؤمنة. لنسأل الشباب. آماندا! هل تؤمنين بالحب؟

آماندا : لا يا صاحب الجلالة.

الملك : أرأيتم! ولماذا؟

آماندا : كنت أعشق شخصاً، وتبين أنه وحش لدرجة أنني توقفت عن الإيمان بالحب. أنا الآن أعشق الجميع دون استثناء. لا فرق.

الملك : أرأيتم؟ وأنت ماذا ستقولين عن الحب يا أورينتيا؟

أورينتيا : كل ما تريد سماعه إلا الحقيقة يا صاحب الجلالة.

الملك : لماذا؟

أورينتيا : قول الحقيقة عن الحب مخيف جداً وصعب لدرجة أنني نسيت كيفية فعل ذلك مرة وإلى الأبد. أنا أقول عن الحب ما ينتظرونه مني.

الملك : قولي لي شيئاً واحداً فقط: هل هناك حب في العالم؟

أورينتيا : يوجد يا صاحب الجلالة، إن كنت تشاء ذلك. فأنا نفسي وقعت في الحب عدة مرات.

الملك : وربما لا يوجد حب؟

أورينتيا : لا يوجد إن كنت تشاء ذلك يا صاحب الجلالة. هناك جنون خفيف مرح ينتهي دائماً بترهات.

صوت طلقة.

الملك : هاكم الترهات.

الصياد : ليشمله الله برحمته.

التلميذ : ربما هو.. هي.. هما..أخطأت الهدف؟

الصياد : وقح! إنها تلميذتي وفجأة..

التلميذ : لم تتعلم طويلاً..

الصياد : عمن تتكلم؟ أمام من تتكلم! أفق.

الملك : اهدأا، لا تعيقاني. أنا أفرح! ها هاها. وأخيراً وأخيراً أفلتت ابنتي من تلك الدفيئة الملعونة التي

ربيتُها فيها أنا الأحمق العجوز. إنها تتصرف الآن مثل جميع الناس الطبيعيين: لديها مشاكل وها هي تطلق النار على أيٍّ كان. ***(يشهق بالدموع)*** ابنتي تكبر. هيه يا صاحب الخان. رتّب هناك في الممر!

يدخل الوزير الإداري. في يديه مسدس يخرج منه الدخان.

التلميذ : أخطَأَت التصويب. ها هاها.

الملك : ما هذا؟ لم أنت على قيد الحياة أيها الوقح؟

الوزير الإداري: لأنني أنا من أطلق النار يا صاحب الجلالة.

الملك : أنت؟

الوزير الإداري: أجل، تخيّل.

الملك : على من؟

الوزير الإداري: على من.. على من.. على الأميرة! إنها حيّة.. حيّة.. لا تخف.

الملك : هيه أنتم هناك! هاتوا المقصلة، الجلاد وقدحاً من الفودكا. الفودكا لي والباقي له. بسرعة.

الوزير الإداري: لا تتسرع يا عزيزي.

الملك : لمن توجه كلامك يا هذا؟

يدخل الدب . يتوقف عند الباب .

الوزير الإداري: لك يا أبي. لا تتسرع. الأميرة خطيبتي.

سيدة البلاط : اقرعوا الطبول، انفخوا في الأبواق، إلى السلاح أيها الحراس.

الوزير الأول: هل فقد عقله؟

صاحب الخان: يا ليت!

الملك : أفهِمني، وإلا قتلتك.

الوزير الإداري: سأخبرك بكل سرور. أحب التكلم عن الأعمال التي وُفِّقت بها. اجلسوا يا سادة، ما بكم واقفون، أنا آذن لكم بذلك. لا تريدون؟ كما تشاؤون. حسناً إذن.. ذهبتُ، بناء على إصراركم إلى الشابة.. ذهبت إذن.حسناً. فتحت الباب قليلاً وأنا أفكر: أوه.. ستقتلني.. وأنا أرغب بالموت تماماً كأي واحد من الموجودين هنا. حسناً. أما هي فالتفتت على صوت صرير الباب وانتفضت. أنا كما تدركون بأنفسكم صرخت أيضاً. وبديهي أنني سحبتُ المسدس من جيبي. وتصرفت تماماً كما كان سيفعل في مكاني أيّ من الموجودين هنا،

أطلقت النار من مسدسي على الفتاة. أما هي فلم تلاحظ حتى. أمسكتني من يدي وقالت: كنت أفكر، كنت أفكر وأنا جالسة هنا عند النار، وأقسمت أن أتزوج أول من ألتقي به. ها ها. أرأيتم كم أنا محظوظ، كم كان في صالحي أنني أخطأت التصويب. يا لي من ماهر.

سيدة البلاط: طفلة مسكينة.

الوزير الإداري: لا تقاطعيني. فسألتها: إذاً، أنا خطيبك الآن؟ وهي أجابتني: وماذا أفعل إن كنت أنت أول من وقع في طريقي. نظرت فرأيت شفتيها ترتجفان، أصابعها تنتفض، مشاعر في عينيها، على رقبتها عِرق ينبض، أشياء من هذا القبيل، خامساً، عاشراً. (*يَشرُق*) يا لحظي، يا لحظي.

يقدم صاحب الخان الفودكا للملك. يخطف الوزير الإداري الكأس ويشربه دفعة واحدة.

مرحى! بالمحصلة عانقتُها، وطبعت قبلة على شفتيها.

الدب : اخرس. سأقتلك.

الوزير الإداري: لا بأس، لا بأس. سبق أن قتلوني اليوم، وماذا نتج عن ذلك؟ أين توقفتُ؟ آه، أجل.. إذاً، قبّلنا بعضنا..

الدب : اسكت.

الوزير الإداري: أيها الملك، أصدر أوامرك كي لا يقاطعوني. هل هذا صعب؟ قبّلنا بعضنا ثم قالت لي: اذهب واخبر أبي بكل شيء، أما أنا فسأغير ملابسي إلى ملابس الفتيات في هذه الأثناء. فأجبتُها على ذلك: اسمحي لي أن أساعدك في تزرير هذا، ذاك، ربط الشريط، شده هيء هيء.. أما هي، يا لها من مغناج، أجابتني: اخرج من هنا. فأجبتها على ذلك: إلى لقاء قريب يا صاحبة الجلالة، يا فرخة، يا دجاجة. ها هاها!

الملك : العلم عند الشيطان.. هيه أنتم.. يا حاشية.. ابحثوا هناك في الصيدلية عن شيء ما.. لقد فقدت وعيي.. لم يبق سوى المشاعر.. رقيقة.. بالكاد يمكن تحديدها.. إما أنني أحتاج إلى الموسيقا والزهور أو إلى ذبح أحدهم. أشعر، أشعر بضبابية

كبيرة، حدث شيء غير صحيح،وليس لدي شيء أنظر به في وجه الواقع.

تدخل الأميرة. تندفع إلى أبيها.

الأميرة *(بيأس)*: بابا.. بابا! ***(تنتبه للدب. بهدوء)*** طاب مساؤك يا بابا. سأتزوج.

الملك : بمن يا ابنتي؟

الأميرة *(تشير نحو الوزير الإداري بإيماءة من رأسها)*: بهذا. تعال إلى هنا. أعطني يدك.

الوزير الإداري: بكل سرور.. هيء هيء..

الأميرة : إياك أن تضحك وإلا أطلقت عليك النار.

الملك : أحسنت. هكذا يتصرفون في عائلتنا.

الأميرة : حددتُ موعد العرس بعد ساعة.

الملك : بعد ساعة؟ ممتاز. فالعرس حدث سار ومفرح في جميع الأحوال، ومن ثم سنرى. جيد! ففي الواقع، ابنتي وعثرنا عليها، الكل أحياء، وبصحة جيدة، النبيذ وافر. حلّوا الأمتعة. ارتدوا الملابس الاحتفالية. أشعلوا جميع الشموع. ثم سنرى.

الدب : توقفوا.

الملك : ما الأمر؟ هيه هيه! هيا تكلم.

الدب *(يوجه حديثه إلى أورينتيا وآماندا اللتين تقفان متعانقتين):* أنا أطلب يدك. كوني زوجتي. انظري إليّ: أنا شاب بصحة جيدة وبسيط. أنا إنسان طيب ولن أسيء لك يوماً. كوني زوجتي.

الأميرة : لا تجيبيه.

الدب : هكذا إذاً! مسموح لك ولي لا!

الأميرة : أقسمت أن أتزوج أول من أصادفه.

الدب : وأنا أيضاً.

الأميرة : أنا.. بالعموم، يكفي، يكفي، لا فرق لدي! ***(تتجه نحو المخرج).*** أيتها السيدات. اتبعنَني. يمكنكن أن تلبسنني فستان العرس.

الملك : أيها السادة اتبعوني. ستساعدوني في التوصية على عشاء العرس. هذا الأمر يتعلق بك أيضاً يا صاحب الخان.

صاحب الخان: حسناً يا صاحب الجلالة. اذهب وسألحق بك. ***(لسيدة البلاط همساً)*** أجبري الأميرة أية حجة أن تعود إلى هنا، إلى هذه الغرفة.

سيدة البلاط: سأجرّها بالقوة، ليأخذني الشيطان.

يذهب الجميع عدا الدب والوصيفتين اللتين ما تزالان واقفتين متعانقتين قرب الجدار.

الدب *(للوصيفتين)*: كوني زوجتي.

آماندا : سيدي، سيدي! على أي منا تعرض الزواج؟

أورينتيا : فنحن اثنتان.

الدب : اعذراني، لم ألاحظ.

يدخل صاحب الخان.

صاحب الخان: تراجعا وإلا ستهلكان. الاقتراب كثيراً من العشاق حين يتخاصمون خطير لدرجة مميتة. اهربا طالما لم يفت الأوان.

الدب : لا تذهبا.

صاحب الخان:اسكت وإلا أوثقتك. ألا تشعر بالشفقة على هاتين الشابتين المسكينتين؟

الدب : لم يشفق علي أحد، وأنا لا أريد أن أشفق على أحد.

صاحب الخان: أسمعتما؟ بسرعة، اخرجا بسرعة.

تذهب أورينتيا وآماندا وهما تلتفتان.

اسمع أنت. أيها الغبي. أطلب منك أن تعود إلى رشدك أرجوك. عدة كلمات عاقلة حنونة وستعودان سعيدين كما في السابق. فهمت؟ قل لها: اسمعي يا أميرة، هذه هي القصة، أنا مذنب، سامحيني، لا تهلكيني، لن أعيدها، فعلت ذلك دون قصد. ومن ثم قبّلها.

الدب : مستحيل.

صاحب الخان: لا تكن عنيداً. قبّلها، لكن بقوة.

الدب : لا.

صاحب الخان: لا تُضع الوقت. لم يبق للعرس سوى أربعين دقيقة. بالكاد ستلحقان التصالح. بسرعة. عد إلى رشدك. أسمع خطوات، إنها إميليا تقود الأميرة إلى هنا. هيا. ارفع رأسك عالياً.

يُفتح الباب وتدخل إلى الغرفة سيدة البلاط في ثوب فاخر. يرافقها خدم يحملون شمعدانات مشتعلة.

سيدة البلاط: أهنئكم بفرح بالغ أيها السادة.

صاحب الخان: أتسمع يا بني؟

سيدة البلاط: حلت نهاية جميع أحزاننا ومصائبنا.

صاحب الخان: أحسنتِ إميليا.

سيدة البلاط: بناء على أمر الأميرة فإن عقد قرانها على السيد الوزير الذي كان من المفترض أن يتم بعد أربعين دقيقة..

صاحب الخان: شاطرة! وبعد..؟

سيدة البلاط: سيتم في الحال.

صاحب الخان: إميليا. عودي إلى رشدك. إنها كارثة بينما أنت تبتسمين.

سيدة البلاط: هكذا هو الأمر. لا تلمسني. أنا أنفذ واجبات خدمتي، لتحل اللعنة علي. ***(تشرق)*** تفضلي يا صاحبة الجلالة، كل شيء جاهز. ***(لصاحب الخان)*** ماذا كان بإمكاني أن أفعل؟ إنها عنيدة كالـــ.. كالـــ.. مثلنا نحن في زمن مضى.

يدخل الملك مرتدياً عباءة من فرو القاقُمّ وتاجاً. إنه يقود الأميرة من يدها وهي في فستان الزفاف. يتبعهما الوزير الإداري. تسطع خواتم من الألماس في جميع أصابعه. تتبعه الحاشية في ملابس احتفالية.

الملك : حسناً إذاً. سنبدأ الزفاف الآن. ***(ينظر إلى الدب بأمل)*** أقسم أنني سأبدأ فوراً.دون مزاح. واحد! اثنان! ثلاثة! ***(يتنهد)*** سأبدأ ***(باحتفالية)*** بصفتي القديس المحترم، الشهيد الأعظم المحترم، بابا روما المحترم لمملكتنا سأبدأ بإتمام مراسم الزواج. أيها العروسان! أمسكا أيدي بعضكما.

الدب : لا.

الملك : ماذا لا؟ هيا تكلم. تكلم لا تخجل.

الدب : اذهبوا جميعاً من هنا. يجب أن أتحدث إليها. هيا اذهبوا.

الوزير الإداري *(يتقدم إلى الأمام)*: يا لك من وقح.

يدفعه الدب بقوة شديدة فيطير الوزير الإداري إلى الباب.

سيدة البلاط: مرحى! اعذرني يا صاحب الجلالة.

الملك : على الرحب والسعة. أنا نفسي سعيد. فأنا أب.

الدب : اذهبوا. أتوسل إليكم. دعونا وحدنا.

صاحب الخان: صاحب الجلالة، يا صاحب الجلالة! لنذهب. الوضع محرج.

الملك : هذا ما كان ينقصنا. أنا أيضاً أريد أن أعرف بم سينتهي حديثهما.

سيدة البلاط: سيدي..

الملك : دعيني. لكن بالعموم، حسناً. بإمكاني أن أتنصت عند قفل الباب. ***(يركض على رؤوس أصابع قدميه)*** لنذهب.. لنذهب يا سادة! الوضع محرج.

يهرب الجميع خلفه عدا الأميرة والدب.

الدب : أيتها الأميرة، سأعترف لك الآن بكل شيء. كان لقاؤنا مصيبة، وكان وقوعنا في الحب مصيبة. أنا.. أنا.. إن قبّلتِني سأتحول إلى دب.

تغطي الأميرة وجهها بيديها.

أنا نفسي غير سعيد بهذا. لست أنا، بل الساحر.. الأمر شغب بالنسبة له، أما نحن المساكين فانظري كيف ارتبكنا. لهذا السبب هربتُ. فقد أقسمت أنني أفضل الموت على الإساءة إليك. سامحيني. لم أكن أنا! إنه هو.. سامحيني.

الأميرة : أنت، أنت وستتحول فجأة إلى دب؟

الدب : أجل.

الأميرة : ما إن أقبّلك؟

الدب : أجل.

الأميرة : أنت، أنت ستتمشى بصمت ذهاباً وإياباً في الغرف كأنك في قفص؟ ولن تكلمني أبداً بلغة البشر؟ وإن أمللتك كثيراً بأحاديثي ستزأر علي كالوحش؟ هل يعقل أن تنتهي جميع أفراح وأحزان الأيام الأخيرة المجنونة بهذه الكآبة؟

الدب : أجل.

الأميرة : بابا! بابا!

يدخل الملك ترافقه جميع الحاشية.

بابا، إنه..

الملك : أجل، أجل لقد تنصَتٌ. يا له من أمر مؤسف.

الأميرة : لنغادر، لنغادر سريعاً.

الملك : ابنتي، ابنتي.. يحدث معي أمر رهيب.. شيء طيب.. يا له من أمر مخيف! شيء طيب استيقظ في روحي. دعينا نفكر: ربما لا داعي لطرده؟هاه؟ فالآخرون يعيشون ولا بأس عليهم. وماذا لو كان

دباً.. المهم ليس ظرباناً.. يمكننا أن نمشطه.. ونستأنسه. يمكنه أن يرقص لنا أحياناً.

الأميرة : لا. فأنا أحبه أكثر من ذلك.

يخطو الدب خطوة إلى الأمام ويتوقف منكساً رأسه.

وداعاً إلى الأبد، وداعاً. ***(تهرب).***

يتبعها الجميع عدا الدب. فجأة تُعزف الموسيقا. تفتح النوافذ من تلقاء نفسها. تشرق الشمس. يختفي أي أثر للثلج. على السفوح الجبلية ينبت العشب، تهتز الأزهار. يدخل سيد البيت ضاحكاً. تلحق به سيدة البيت باسمة. تنظر إلى الدب وتتوقف عن الابتسام فوراً.

سيد البيت *(يصرخ)*: تهانيّ! تهانيّ! نصيحة وحب.

سيدة البيت: اصمت أيها الغبي.

سيد البيت : لماذا غبي؟

سيدة البيت: تصرخ بالعبارات الخطأ. لا يوجد عرس هنا بل مصيبة.

سيد البيت : ماذا؟ كيف؟ هذا غير ممكن. لقد أحضرتهم إلى هذا الفندق المريح وطمرت جميع المداخل والمخارج

بأكوام من الثلج. كنت فرحاً بابتكاري، فرحت لدرجة أن الثلج الأبدي نفسه ذاب، واخضرّت السفوح الجبلية تحت الشمس. هل قبّلتها؟

الدب : ولكن..

سيد البيت : جبان.

موسيقا حزينة. يتساقط الثلج على العشب الأخضر، على الأزهار. تمر الأميرة عبر الغرفة وهي تضع يدها بيد الملك منكسة رأسها، لا تنظر إلى أحد، تتبعهما الحاشية كلها. كل هذاالموكب يسير خلف النوافذ تحت الثلج المتساقط. يخرج صاحب الخان حاملاً حقيبة. إنه يهزّ ربطة المفاتيح.

صاحب الخان: أيها السادة، أيها السادة، سيُغلق الفندق. أنا مسافر أيها السادة.

سيد البيت : حسناً! أعطني المفاتيح، سأقفل كل شيء بنفسي.

صاحب الخان: أشكرك. عجِّل الصياد. إنه يجمع شهاداته.

سيد البيت : حسناً.

صاحب الخان *(للدب)*: اسمع أيها الصبي المسكين..

سيد البيت : اذهب، أنا سأكلمه. استعجل، ستتأخر، ستتخلف عن الآخرين.

صاحب الخان: خلّصني يا رب. ***(يهرب)***.

سيد البيت : أنت! أجبني. كيف تجرأت ولم تقبّلها؟

الدب : لكنك تعلم بم كان سينتهي ذلك.

سيد البيت: لا، لا أعرف. أنت لم تحب الشابة.

الدب : غير صحيح.

سيد البيت: لم تكن تحبها، وإلا لسيطرت عليك قوة الاندفاع السحرية. من يجرؤ على التفكير أو التنبؤ حين تسيطر المشاعر السامية على المرء؟ يخلع الفقراء، وهم أناس غير مسلحين الملوك عن العروش بدافع حبهم لشخص قريب. يدفع الجنود الموت بأرجلهم بدافع حبهم للوطن، فيهرب الموت دون أن يلتفت للخلف. يصعد الحكماء إلى السماء ويغطسون في الجحيم نفسه بدافع حبهم للحقيقة. يُعاد إعمار الأرض بدافع حب الجمال. وأنت ماذا فعلت بدافع حبك للشابة؟

الدب : تخليت عنها.

سيد البيت : تصرف رائع. هل تعرف، هناك يوم للمحبين يحالفهم فيه الحظ مرة واحدة في العمر فقط. وأنت أضعت سعادتك. وداعاً. لن أساعدك بعد الآن. لا.

بل سأعرقلك بكل قوتي. إلى أين أوصلتني.. أنا المرح المشاغب صرت أتكلم كالواعظ بسببك. لنذهب يا زوجتي ونغلق درف النوافذ.

سيدة البيت: لنذهب أيها الأحمق.

صوت الدرفات التي يتم إغلاقها. يدخل الصياد وتلميذه. في أيديهم مصنفات كبيرة.

الدب : هل تريد قتل الدب رقم مئة؟

الصياد : دب؟ رقم مئة؟

الدب : أجل، أجل. عاجلاً أم آجلاً سأعثر على الأميرة، أقبّلها وأتحول إلى دب، وهنا ستقوم أنت..

الصياد : فهمت! شيء جديد. مغرٍ. لكنني بصراحة مُحرج من استغلال لطفك.

الدب : لا بأس، لا تخجل.

الصياد : وماذا سيكون رأي سموها الملكية بالأمر؟

الدب : ستفرح..

الصياد: حسناً. الفن يتطلب التضحيات. موافق.

الدب: شكراً يا صديقي. لنذهب!

ســــــتار

الفصل الثالث

حديقة تتدرج نزولاً إلى البحر. سرو، نخيل، خضرة فاخرة، أزهار. شرفة عريضة يجلس على سورها صاحب الخان. يرتدي ملابس صيفية، يكسوه الأبيض من رأسه حتى قدميه، منتعش، يبدو أكثر شباباً.

صاحب الخان: آو! آووو! غوب - غوب! أيها الدير، يا دير. أجب. أيها الأب المدبّر، أين أنت؟ لدي أخبار. أتسمع؟ أخبار. هل يعقل أن لا شيء يجبرك على تنصيب أذنيك؟ هل يعقل أنك نسيت كلياً كيف تتبادل الأفكار عن بعد؟ عام كامل وأنا أستدعيك لكن عبثاً. أيها الأب المدبّر! آووو! غوب - غوب! ***(يقفز من مكانه)*** مرحى! مرحباً يا عجوز. وأخيراً. لا تصرخ هكذا، أوجعت أذنيّ. ماذا في

ذلك؟ أنا أيضاً فرحت، لكنني لا أصرخ. ماذا؟ لا، أخبرني أنت أولاً بكل شيء أيها النمّام العجوز، ثم سأخبرك بدوري بما حدث معنا خلال هذا العام. أجل، أجل. سأخبرك بجميع الأخبار، لن أفوّت شيئاً، لا تقلق. يكفي، توقف عن التأوه والندب، انتقل إلى المهم. حسناً، حسناً، فهمت. وأنت ماذا؟ ورئيس الدير ماذا؟ وهي ماذا؟ ها هاها. يا لها من امرأة بارعة. فهمت. وما أحوال فندقي؟ يعمل؟حقاً؟ كيف؟ كيف؟ أعد عليّ. ***(ينشج وينفّ)*** لطيف. مؤثر. انتظر، دعني أسجّل. تهددنا هنا مصائب وأذيات مختلفة، لذلك من المفيد التزود بأخبار مُطَمئِنة. إذن؟ ماذا يقول الناس؟ الفندق من دونه كجسد دون روح؟ يقصدونني أنا بذلك؟ أشكرك أيها التيس العجوز، لقد أفرحتني. وماذا أيضاً؟ في المحصلة تقول لي أن كل شيء كما كان؟ كل شيء كسابق عهده؟ يا لها من أعاجيب! لستُ موجوداً هناك، بينما يسير كل شيء كما في السابق. من كان يظن. حسناً إذاً، الآن دوري في إخبارك. أولاً عن نفسي. أنا أعاني بطريقة لا تحتمل. احكم

بنفسك، عدتُ إلى وطني. كيف؟ كل شيء رائع حولي. حقاً؟ كل شيء يزهر ويفرح، كما في أيام شبابي، لكنني أنا من تغير. لقد قضيت على سعادتي، فوّتُّها. أمر مرعب، أليس كذلك؟ لماذا أتكلم عن الأمر بهذا الفرح؟ لأنني في بيتي رغم كل شيء.. أنا، ورغم معاناتي التي لا تحتمل، زاد وزني خمسة كيلوغرامات رغم كل شيء. ليس باليد حيلة. أعيش. وإضافة إلى ذلك، رغم المعاناة التي أعانيها، لكنني تزوجت. تزوجتها، تزوجتها هي! اسمها يبدأ بحرف «إ»! «إ»! «إ»! ما هو غير المفهوم؟ «إ»! لا أذكر اسمها كاملاً، لأنني بعد أن تزوجت بقيت عاشقاً محترماً. لا أستطيع أن أصرخ بأعلى صوتي على العالم كله اسماً مقدساً بالنسبة لي. لا داعي للضحك أيها الشيطان. أنت لا تفهم شيئاً في الحب لأنك راهب. ماذا؟ وهل تسمي ذلك حباً يا عديم الحياء العجوز؟ هكذا بالضبط. ماذا؟ كيف حال الأميرة؟ آه يا أخي، سيِّئ. محزن يا أخي. مرضت أميرتنا. مرضت بسبب الشيء الذي لا تؤمن به أنت أيها التيس العجوز. هكذا

بالضبط، من الحب. يقول الطبيب إن الأميرة قد تموت لكننا لا نريد أن نصدق. لأن الأمر سيكون غير عادل أبداً حينها. لم يأت إلى هنا، لم يأت، أتفهمني؟ أتى الصياد، بينما الدب مختفٍ لا أحد يعلم أين. على الأرجح أن الأمير - الوزير الإداري لا يسمح له بالوصول إلينا بجميع الوسائل الموجودة على الأرض. أجل، تخيل، أصبح الوزير الإداري الآن أميراً وقوياً كالشيطان. إنه المال يا أخي.لقد أصبح ثرياً لدرجة مخيفة. يفعل ما يريد. ساحر أم ليس ساحراً، لكنه شبيه بذلك. حسناً، يكفي حديثاً عنه. مقرف. الصياد؟ لا، لا يصطاد. يحاول أن يكتب كتاباً عن نظرية الصيد. متى سيصدر الكتاب؟ غير معروف. إنه الآن يطبع مقتطفات، ثم يتبادل إطلاق النار مع زملائه في المهنة بسبب كل فاصلة. إنه المسؤول عن الصيد الملكي عندنا. بالمناسبة لقد تزوج. بأماندا، وصيفة الأميرة. ولدت لهما ابنة. أسموها «موشكا»[١]. وتلميذ الصياد

(١) نقطة تصويب – دريئة.

تزوج بأورينتيا. رزقا بصبي. سمّوه «ميشين»(١). هكذا يا أخي. الأميرة تعاني، مريضة، بينما تسير الحياة مسارها الطبيعي. ماذا تقول؟ السمك هنا أرخص مما لديكم، ولحم البقر بنفس السعر. ماذا؟ الخضار يا أخي، لم يسبق لك أن حلمت بمثلها. يؤجرون القرع للعائلات الفقيرة كبيوت صيفية. وهكذا يعيش المصطافون في القرعة، ويقتاتون بها. وبفضل ذلك كلما ازدادت مدة السكن في البيت الصيفي، أصبح أكثر اتساعاً. هكذا يا أخي. جرّبنا حتى تأجير البطيخ، لكن العيش فيه رطب نسبياً. وداعاً إذاً يا أخي. الأميرة قادمة. محزن يا أخي. وداعاً يا أخي. اسمعني غداً في مثل هذا الوقت. آه آهآه. يا لها من حالة..

تدخل الأميرة.

مرحباً أيتها الأميرة.

الأميرة : أهلاً يا صديقي العزيز. ألم نلتقِ من قبل؟ لكن خيل إلي أنني سبق وأخبرتك بأنني سأموت اليوم.

---

(١) هدف.

صاحب الخان: هذا لن يحدث. لن تموتـي.

الأميرة : ليت الأمر كذلك، لكن حكمت الظروف بأنه ليس أمامي مخرج آخر. أشعر بصعوبة في التنفس، وفي الرؤية.. إلى هذا الحد أنا متعبة. أنا لا أظهر ذلك لأحد لأنني اعتدت منذ طفولتي ألا أبكي حين أتعرض للرضّ، ولكنك شخص مقرب، أليس كذلك؟

صاحب الخان: لا أريد تصديقك.

الأميرة : لكنك ستضطر لذلك. كما يموتون دون خبز، دون ماء، دون هواء، كذلك أموت أنا لأنني لا أجد السعادة، هذا هو الأمر.

صاحب الخان: أنت مخطئة.

الأميرة : لا. كما يدرك الإنسان فجأة بأنه عاشق، يخمن على الفور بنفس الطريقة حين يأتي الموت لاصطحابه.

صاحب الخان: أرجوك أيتها الأميرة، لا داعي.

الأميرة : أعرف أن هذا محزن لكنك ستشعر بحزن أكبر إن تركتك دون وداع. سأكتب الآن رسائل، أوضب الأمتعة، أما أنت فاجمع الأصدقاء في هذه الأثناء

هنا على الشرفة. أما أنا فسآتي فيما بعد وأودعكم. اتفقنا؟ (***تذهب***).

صاحب الخان: يا لها من حسرة، يا للمصيبة. لا، لا، أنا لا أصدق أن هذا قد يحصل. إنها لطيفة، رقيقة، لم تخطئ في حق أحد. أصدقائي، يا أصدقائي! بسرعة. إلى هنا. الأميرة تنادي. أصدقائي، يا أصدقائي.

يدخل سيد وسيدة البيت.

أنتما؟ يا للسعادة، يا للفرح! وأنتما سمعتماني؟

سيد البيت : سمعناك، سمعناك.

صاحب الخان: كنتما قريبين؟

سيدة البيت: لا، كنا في منزلنا جالسين عند المدخل. لكن زوجي قفز من مكانه فجأة وصرخ: «حان الوقت، إنهم ينادوننا». حملني، حلق تحت الغيوم، ومن هناك إلى أسفل، مباشرة إليك. مرحباً إميل!

صاحب الخان: مرحباً، مرحباً يا أعزائي! أتعرفان ماذا يجري لدينا هنا؟ ساعدونا. الوزير الإداري صار أميراً ولا يسمح للدب بالاقتراب من الأميرة المسكينة.

سيدة البيت: آه، هذا ليس من فعل الوزير الإداري.

صاحب الخان: مَن السبب إذاً؟

سيدة البيت: نحن.

صاحب الخان: لا أصدق. أنتما تقولان الأكاذيب بحق نفسيكما.

سيد البيت : اسكت. كيف تجرؤ على الندب والهلع، وتأمل بنهاية جيدة حيث لم يعد هناك مجال للتراجع. تدلّلت! أصبحت رقيقاً! ارتخيت هنا تحت النخلات. تزوجت وتفكر الآن أن كل شيء في العالم يجب أن يسير الآن بسهولة وسلاسة. أجل، أجل. أنا من لا يسمح للصبي بالاقتراب من هنا. أنا.

صاحب الخان: ولماذا؟

سيد البيت : كي تلقى الأميرة حتفها بهدوء و كرامة.

صاحب الخان: أوه.

سيد البيت : لا تتأوه.

صاحب الخان: وماذا لو حدثت معجزة..

سيد البيت : هل سبق أن علمتك كيفية إدارة الفندق أو الإخلاص في الحب؟ لا؟ لذلك إياك أن تجرؤ على التحدث إلي عن المعجزات. المعجزات تخضع لذات

القوانين التي تخضع لها جميع الظواهر الطبيعية الأخرى. لا توجد قوة على وجه الأرض تستطيع أن تساعد الطفلين المسكينين. ماذا تريد؟ أن يتحول أمام أعيننا إلى دب فيطلق الصياد النار عليه؟ صراخ، جنون، قبح بدل نهاية حزينة وهادئة؟ هل تريد ذلك؟

صاحب الخان: لا.

سيد البيت : إذاً دعنا لا نتكلم عن الأمر.

صاحب الخان: لكن ماذا لو وصل الصبي إلى هنا رغم كل شيء..

سيد البيت : مستحيل. بناء على طلبي تخرج أكثر الأنهار هدوءاً عن شواطئها وتعيق الطريق أمامه ما إن يقترب من المخاضة. تترك الجبال أماكنها، رغم محبتها القعود في البيت، وهي تصرّ بحجارتها وتخشخش بغاباتها وتقف في طريقه. هذا دون أن أذكر الأعاصير فهي سعيدة بتضليل الإنسان عن طريقه. لكن هذا ليس كل شيء. رغم شعوري بالاشمئزاز، إلا أنني أمرت السحرة الأشرار أن يفعلوا له الشر. لكنني لم أسمح بقتله.

سيدة البيت: والإضرار بصحته.

سيد البيت : أما كل شيء آخر فسمحت به. وها هي الضفادع العملاقة تُسقط حصانه حين تقفز من مكامنها. والبعوض يلسعه.

سيدة البيت: ذاك الذي لا يحمل الملاريا.

سيد البيت : لكنه مقابل هذا كبير كالنحل. وتعذب الشاب أحلامٌ مخيفة لدرجة أن أقوياء البنية فقط من أمثال دبنا يحتملون مشاهدتها حتى نهايتها دون أن يستيقظوا. يبذل السحرة الأشرار كامل جهدهم، فهم يخضعون لنا، نحن السحرة الطيبون. لا، لا! كل شيء سيكون على ما يرام، سينتهي كل شيء نهاية حزينة. استدعِ الأصدقاء ليودعوا الأميرة.

صاحب الخان: أصدقائي، يا أصدقائي.

تظهر إميليا، الوزير الأول، أورينتيا، آماندا، تلميذ الصياد.

أصدقائي.

إميليا : لا داعي، لا تتكلم، لقد سمعنا كل شيء.

سيد البيت : وأين الصياد؟

التلميذ : ذهب إلى الطبيب لإحضار قطرة مهدئة. يخشى أن يمرض من القلق.

إميليا : هذا مضحك لكنني لست قادرة على الضحك. حين تفقد أحد أصدقائك، تغفر للآخرين كل شيء لبعض الوقت.. ***(تشهق بالبكاء)***.

سيد البيت : سيدتي، سيدتي. دعونا نتصرف كأناس بالغين. حتى النهايات المأساوية لها عظمتها الخاصة.

إميليا : ما هي؟

سيد البيت : إنها تجبر على التفكير هؤلاء الذين ظلوا أحياء.

إميليا : ما هو العظيم هنا؟ من المخجل قتل الأبطال كي يتأثر الباردون ويتحرك اللا مبالون. لا أطيق ذلك. لنتكلم عن شيء آخر.

سيد البيت : أجل، أجل لنفعل. أين الملك المسكين إذاً؟ مؤكد أنه يبكي.

إميليا : يلعب الورق، النطّاط العجوز.

الوزير الأول: لا داعي لكيل الشتائم يا سيدتي. أنا المذنب في كل شيء. الوزير مُلزم إبلاغ الملك بجميع الحقائق،

أما أنا فخشيت أن أتسبب بالحزن لجلالته. يجب، يجب أن نفتح عيني الملك.

إميليا : إنه في كل الأحوال يرى كل شيء بوضوح.

الوزير الأول: لا، لا يرى. الوزير الإداري- الأمير هو السيئ، أما الملك فروعة. قطعت عهداً على نفسي أنني سأفتح عيني جلالته عند أول لقاء. وسينقذ الملك ابنته، وبالمحصلة جميعنا أيضاً.

إميليا : وماذا إن لم ينقذها؟

الوزير الأول: حينها سأتمرد أنا أيضاً، ليأخذني الشيطان.

إميليا : الملك قادم إلى هنا. تصرفوا. ليس باستطاعتي السخرية حتى منك يا سيدي الوزير الأول.

يدخل الملك. إنه فرح جداً.

الملك : مرحباً، مرحباً. يا له من صباح رائع. كيف الأمور، ما أحوال الأميرة؟ بالعموم لا داعي لإجابتي، فأنا أدرك أن كل شيء يجري على ما يرام.

الوزير الأول: يا صاحب الجلالة..

الملك : إلى اللقاء، إلى اللقاء.

الوزير الأول: اسمعني يا صاحب الجلالة..

الملك : أنا نعسان..

الوزير الأول: إن أنت لم تنقذ ابنتك فمن سينقذها؟ ابنتك الغالية، ابنتك الوحيدة. انظر ماذا يجري لدينا. استولى النصّاب، المنتفع الوقح دون قلب وعقل على السلطة في المملكة. كل شيء الآن في خدمة غرض واحد هو محفظة النصاب. في كل مكان يتسكع ناظرِوه ويجرّون أكياس البضائع من مكان إلى آخر، دون أن يبالوا بشيء. إنهم يقتحمون المواكب الجنائزية، يوقفون الأعراس، يوقِعون الأطفال، يدفعون العجائز. أصدر أوامرك بطرد الوزير الإداري الأمير وعندها ستتنفس الأميرة بسهولة أكبر، والعرس المخيف لن يعود ليهدد المسكينة. يا صاحب الجلالة!

الملك : لا أستطيع أن أفعل شيئاً.

الوزير الأول: لماذا؟

الملك : لأنني أنقرض أيها الغبي. يجب أن تقرأ الكتب ولا تطالب الملك بما ليس في مقدوره. ستموت الأميرة؟

وليكن. حينما أدرك أن هذا الرعب بالفعل يهددني، سأنتحر. حتى إنني جهزت السم منذ وقت طويل. منذ مدة قصيرة جربت هذا العقار على أحد زملائي في لعب الورق. مفعوله رائع. مات ولم ينتبه. لم الصراخ إذاً؟ لم القلق عليّ؟

إميليا : لسنا قلقين عليك بل على الأميرة.

الملك : لستم قلقين على ملككم؟

الوزير الأول: أجل يا صاحب السعادة.

الملك : أوه. كيف دعوتني؟

الوزير الأول: صاحب السعادة.

الملك : أنا الأعظم بين الملوك، نعتتني بلقب الجنرالات؟ هذا تمرد.

الوزير الأول: نعم. لقد تمردت. أنت، أنت لست الأعظم بين الملوك على الإطلاق، بل بارز فحسب، هكذا فقط.

الملك : أوه!

الوزير الأول: نلت نصيبك؟ ها ها سأكمل أبعد من ذلك. الإشاعات عن قداستك مبالغ بها، أجل أجل. أنت لا تُلَقَّب بالقديس الفخري عن استحقاق. أنت ناسك بسيط.

الملك : أوه!

الوزير الأول: زاهد.

الملك : آي!

الوزير الأول: ناسك لكن بالتأكيد لست قديساً.

الملك : ماء!

إميليا : لا تعطوه الماء، دعوه يسمع الحقيقة.

الوزير الأول: بابا روما المحترم؟ ها ها. لستَ بابا روما، ولستَ بابا، فهمت؟ لست بابا وانتهى الأمر.

الملك : هذا كثير. أيها الجلاد.

إميليا : لن يأتي. إنه يعمل في جريدة الوزير الإداري. يكتب الشعر.

الملك : أيها الوزير، أيها الوزير الإداري. إليّ. إنهم يسيئون إليّ.

يدخل الوزير الإداري. إنه يتصرف الآن برصانة غريبة. يتكلم دون تعجل، باتّزان.

الوزير الإداري: لكن لماذا؟ بسبب ماذا؟ من تجرأ على الإساءة إلى ملّوكنا الرائع، المتواضع، كما أسميه.

الملك : إنهم يؤنبونني ويطالبونني أن أطردك.

الوزير الإداري: يا لها من مؤامرات بشعة كما أسميها.

الملك : إنهم يخوفونني.

الوزير الإداري: بماذا؟

الملك : يقولون إن الأميرة ستموت.

الوزير الإداري: من ماذا؟

الملك : ربما بسبب الحب.

الوزير الإداري: يمكنني القول إن هذا هراء. تخيلات كما أسميها. إن طبيبنا المشترك، طبيبي أنا والملّوك، عاين الأميرة البارحة فقط وأبلغني بحالتها الصحية. لم يتم اكتشاف أية أمراض سببها الحب عند الأميرة. هذا أولاً. وثانياً الحب يسبب أمراضاً مضحكة، تستدعي الفكاهة، كما أسميها، ويمكن معالجتها إذا لم يتم إهمالها بالطبع. فما دخل الموت هنا؟

الملك : أرأيتم؟ ألم أقل لكم؟ الطبيب يعرف بشكل أفضل إن كانت الأميرة في خطر أم لا.

الوزير الإداري: لقد تعهّد لي الطبيب بحياته أن الأميرة ستتعافى قريباً. إنها ببساطة تعاني من اضطراب ما قبل الزفاف، كما أسمي هذا.

يدخل الصياد راكضاً.

الصياد : مصيبة، مصيبة. هرب الطبيب.

الملك : لماذا؟

الوزير الإداري:أنت تكذب.

الصياد : هيه أنت. أنا أحب الوزراء لكن المهذبين فقط. نسيت؟ أنا إنسان ذواق للفن، لستُ من العامة البسطاء. أنا أطلق النار دون خطأ.

الوزير الإداري: أنا مذنب. نسيت نفسي من كثرة العمل.

الملك : أخبرنا، أخبرنا أيها السيد الصياد. أرجوك.

الصياد : أمرك يا صاحب الجلالة. ذهبت إلى الطبيب لآخذ القطرة المهدئة وفجأة رأيت: الغرف مُشرّعة، الأدراج مفتوحة، الخزائن فارغة، وعلى الطاولة ملاحظة. ها هي.

الملك : إياك أن تريها لي. لا أريد. أنا أخاف. ما هذا؟ سلبوا مني الجلاد، سلبوا مني الدرك، يخيفونني.

أنتم خنازير ولستم رعايا أوفياء. إياكم التجرؤ على اللحاق بي. لا أسمع، لا أسمع، لا أسمع. ***(يهرب وقد أغلق أذنيه)***.

الوزير الإداري: شاخ الملّوك.

إميليا : ومن لا يشيخ بسببك.

الوزير الإداري: لننهي الثرثرة، كما أسمي ذلك. أرني الملاحظة من فضلك يا سيد صياد.

إميليا : اقرأها لنا جميعاً يا سيد صياد.

الصياد : بكل سرور. إنها بسيطة جداً. ***(يقرأ)***. «لا تستطيع إنقاذ الأميرة سوى معجزة. أنتم أهلكتموها، لكنكم ستلقون اللوم علي. بينما الطبيب هو إنسان أيضاً، يريد أن يعيش. وداعاً. الطبيب."

الوزير الإداري: اللعنة على الشيطان، هذا الكلام ليس في وقته أبداً. الطبيب، الطبيب. أعيدوه على الفور والقوا كل المسؤولية عليه. بسرعة. ***(يهرب)***.

تظهر الأميرة على الشرفة. إنها في ملابس السفر.

الأميرة : لا، لا تنهضوا، لا تتحركوا من أماكنكم يا أصدقائي. وأنت هنا أيضاً يا صديقي الساحر،

وأنت! كم هذا رائع. يا له من يوم مميز.أنا اليوم أوفّق بكل شيء. الأغراض التي كنت أعتبرها مفقودة ظهرت فجأة من تلقاء نفسها. شعري يصفّف بسهولة حين أسرّحه. وإذا تذكرت الماضي فلا تخطر لي سوى الذكريات المفرحة. الحياة تودعني بابتسامة. هل أخبروك أنني سأموت اليوم؟

سيدة البيت: أوه!

الأميرة : أجل، أجل هذا مخيف أكثر مما ظننت. تبين أن المنية قاسية. وإضافة إلى ذلك وسخة. إنها تأتي حاملة كيساً كاملاً من الأدوات المقززة، تشبه أدوات الطبيب. لديها هناك مطارق حجرية رمادية غير مسنونة للضربات، وخطّافات صدئة لتمزيق القلب، إضافة لأدوات أكثر بشاعة لا أرغب بالحديث عنها.

إميليا : من أين تعلمين بذلك أيتها الأميرة؟

الأميرة : لقد اقتربت المنية لدرجة أنني أرى كل شيء. ويكفي حديثاً عن ذلك. أصدقائي، كونوا أكثر طيبة معي من العادة. لا تفكروا بمصيبتكم، بل حاولوا أن تزينوا دقائقي الأخيرة.

إميليا : مُري أيتها الأميرة. سنفعل كل شيء.

الأميرة : تحدثوا معي وكأن شيئاً لم يكن. امزحوا، ابتسموا. احكوا ما تشاؤون. فقط كي لا أفكر بما سيحدث قريباً معي. أورينتيا، آماندا هل أنتما سعيدتان بزواجكما؟

آماندا : ليس كما توقعنا، لكننا سعيدتان.

الأميرة : طوال الوقت؟

أورينتيا : معظم الوقت.

الأميرة : هل أنتما زوجتان صالحتان؟

الصياد : كثيراً. الصيادون الآخرون ببساطة يموتون حسداً.

الأميرة : لا، لتجب الزوجات بأنفسهن. هل أنتما زوجتان صالحتان؟

آماندا : لا أعرف يا أميرة. أعتقد أنه لا بأس بنا. لكنني أحب زوجي وطفلي بجنون...

أورينتيا : وأنا أيضاً.

آماندا : لدرجة أنني أحياناً بالكاد أحتفظ بعقلي.

أورينتيا : وأنا أيضاً.

آماندا : لم يمر وقت طويل منذ كنا نستغرب السخافات، عدم التبصر، والصراحة الوقحة التي تستخدمها الزوجات الشرعيات في تدبير مقالب لأزواجهن.

أورينتيا : وها نحن الآن نفعل نفس الشيء.

الأميرة : محظوظتان. كم يلزم أن تعيش وتشعر كي تتغير هكذا. أما أنا فبقيت حزينة وفقط. الحياة، الحياة.. من هذا؟ ***(تمعن النظر في عمق الحديقة).***

إميليا : ما بك يا أميرة؟ ليس هناك أحد.

الأميرة : خطوات، خطوات! أتسمعون؟

الصياد : هذه.. هي[١]؟

الأميرة : لا.. إنه هو، هو.

يدخل الدب. حركة عامة.

أنت، أنت أتيت إليّ؟

الدب : أجل، مرحباً. لماذا تبكين؟

الأميرة : من الفرح. أصدقائي.. أين هم جميعاً؟

الدب : ما إن دخلت حتى خرجوا على رؤوس أصابع أقدامهم.

---

(١) يقصد المنية.

الأميرة : جيد إذاً. لدي الآن سر، لم أستطع كشفه حتى لأكثر الناس قرباً. فقط لك. ها هو: أنا أحبك. أجل، أجل. إنها الحقيقة، الحقيقة. أحبك لدرجة أنني سأغفر لك كل شيء. يسمح لك بكل شيء. تريد أن تتحول إلى دب.. حسناً. ليكن. فقط لا تذهب. لم أعد أستطيع البقاء هنا وحدي. لِمَ أطلت الغياب؟ لا، لا تجبني، لا داعي، أنا لا أسألك. طالما لم تأتِ، معناه أنك لم تكن تستطع. أنا لا ألومك، أترى كم استكنتُ؟ فقط لا تتركني.

الدب : لا، لا.

الأميرة : أتت المنية لاصطحابي اليوم.

الدب : لا.

الأميرة : صحيح، صحيح. لكنني لا أخافها. أنا فقط أخبرك بالمستجدات. كلما حدث شيء حزين ما، أو لمجرد أنه جدير بالاعتبار كنت أفكر: سيأتي وسأخبره. لم تأخرت بالمجيء كل هذا الوقت؟

الدب : لا، كنت قادماً، قادماً طوال الوقت. كنت أفكر بشيء واحد فقط: كيف سآتي إليك وأقول: «لا

تغضبي. هذا أنا. لم أستطع التصرف بطريقة أخرى. لقد أتيت!» ***(يعانق الأميرة)*** لا تغضبي. لقد أتيت.

الأميرة : جيد إذاً. أنا سعيدة لدرجة أنني لا أؤمن بالموت أو المصيبة. خاصة الآن، حينما اقتربت مني كل هذا القدر. لم يسبق لأحد أن اقترب مني يوماً كل هذا القدر. ولم يعانقني. أنت تعانقني وكأنك تملك الحق بذلك. هذا يعجبني، يعجبني جداً. سأعانقك الآن بدوري. ولن يجرؤ أحد على لمسك. تعال، تعال وسأريك غرفتي حيث بكيت كثيراً، والشرفة التي كنت أراقب منها إن كنت آتياً أم لا، مئة كتاب عن الدببة. تعال، تعال.

يذهبان وعلى الفور تدخل سيدة البيت.

سيدة البيت: يا إلهي، ما العمل، ماذا علي أن أفعل أنا المسكينة. لقد سمعت وأنا واقفة هنا خلف الشجرة كل كلمة قالاها، وبكيت كأنني في جنازة. أجل الأمر كذلك بالفعل. أولاد مساكين، أولاد مساكين. ما المحزن أكثر من هذا؟ عريس وعروس لن يصبحا زوجاً وزوجة.

يدخل سيد البيت .

محزن، صحيح؟

سيد البيت : صحيح.

سيدة البيت: أنا أحبك، لست غاضبة، لكن لماذا دبّرت كل ذلك؟

سيد البيت :هذه طبيعتي التي ولدت بها، لا أستطيع ألا أدبّر يا غاليتي، يا عزيزتي. أردت أن أتكلم معك عن الحب،لكنني ساحر. وهكذا أخذتُ وجمعت أناساً وخلّطتهم، وبدؤوا جميعاً يعيشون كي يُضحِكوكِ ويبكوكِ. هكذا أحبك. في الحقيقة بعضهم عمل بشكل أفضل وبعضهم أسوأ،لكنني لحقت أن أتعود عليهم. هل أشطبهم! هم ليسوا كلمات، بل بشر. خذي مثلاً إميل وإميليا. كنت آمل أنهما سيساعدان الشابين متذكرين أحزانهما الماضية. أما هما فتكللا. تكللا. ها هاها. شاطران. هل أشطبهما بسبب ذلك؟ أخذا وتكللا، الغبيان، ها هاها. أخذا وتكللا.

يجلس قرب زوجته. يعانقها من كتفيها. يتكلم بهدوء وهو يهزها وكأنه يهدهدها.

أخذا وتكللا، الغبيان. وليكن، وليكن. نامي يا حبيبتي، وليكن. فأنا لسوء حظي خالد. علي أن أحيا بعدك وأغرق في الحزن إلى الأبد. أما الآن أنت معي وأنا معك. يمكن أن يفقد المرء عقله من السعادة. أنت معي. أنا معك. المجد للشجعان الذين تجرؤوا على الحب مدركين أن النهاية ستأتي. المجد للمجانين الذين عاشوا وكأنهم خالدين، يتراجع الموت عنهم في كل مرة. يتراجع، ها هاها. وماذا لو لم تموتي، بل تحولتِ إلى لبلاب والتففت حولي أنا الغبي. ها هاها . ***(يبكي)***. وأنا الغبي سأتحول إلى شجرة سنديان.حقاً. ذلك ممكن. وعندها لن يموت أي منا، وسينتهي كل شيء نهاية موفقة. ها هاها. وأنت تعانين. وأنت تتذمرين مني. بينما هذا ما خطر لي. نامي. وحين تستيقظين سترين أن الغد قد أتى. وجميع المصائب كانت بالأمس. نامي، نامي يا غاليتي.

يدخل الصياد. يحمل بندقية. يدخل تلميذه، أورينتيا، آماندا، إميل، إميليا.

تشعرون بالحزن يا أصدقاء؟

إميل : أجل.

سيد البيت : اجلسوا. سنحزن معاً.

إميليا : آه كم أرغب أن أجد نفسي في تلك البلدان العجيبة التي يتحدثون عنها في الروايات. السماء هناك رمادية، غالباً ما تهطل الأمطار، الريح تعصف في المداخن. وهناك لا وجود أبداً لتلك الكلمة اللعينة: «فجأة». هناك يتدفق شيء من آخر. هناك ناس، حين يأتون إلى بيت غريب يجدون تماماً ما كانوا بانتظاره، وحين يعودون يجدون أن بيتهم لم يتغير، وفوق ذلك يتذمرون من الأمر، الجاحدون.نادراً جداً ما تحدث هناك أحداث غير مألوفة لدرجة أن الناس لا يتعرفون إليها حين تحدث أخيراً في النهاية. الموت نفسه يبدو مفهوماً هناك. خاصة موت الناس الآخرين. وليس هناك سحرة ولا معجزات. الشبان حين يقبّلون فتاة، لا يتحولون إلى دب، وإذا ما تحولوا فلا أحد يعير ذلك اعتباراً. عالم عجيب، عالم سعيد.. بالعموم اعذروني لأنني أبني قصوراً متخيلة.

سيد البيت : أجل، أجل، لا داعي، لا داعي. دعونا نتقبل الحياة كما هي عليه. الأمطار هي الأمطار ولكن المعجزات تحدث، والتحولات الغريبة والأحلام السلوانية. أجل، أجل، الأحلام السلوانية. ناموا، ناموا يا أصدقائي. ناموا. لينم الجميع، بينما يودع العشاق بعضهم بعضاً.

الوزير الأول: هل هذا لائق؟

سيد البيت : بالتأكيد.

الوزير الأول:من واجبات حاشية البلاط..

سيد البيت :... انتهت. لا يوجد في العالم أحد سوى طفلين. إنهما يودعان بعضهما ولا يريان أحداً حولهما. فليكن الأمر كذلك. ناموا، ناموا يا أصدقائي. ناموا. وعندما تستيقظون سيكون قد أتى الغد وجميع الأحزان كانت بالأمس. ناموا. ***(للصياد)*** وأنت مالك لا تنام؟

الصياد : أعطيت كلمة. أنا.. هدوء. ستخيف الدب.

تدخل الأميرة. يتبعها الدب.

الدب : لماذا هربتِ مني فجأة؟

الأميرة : شعرت بالخوف.

الدب : خوف؟ لا داعي، لنعد. لنذهب إلى غرفتك.

الأميرة : انظر، لقد نام الجميع حولنا. والحرس على الأبراج. وأبي على العرش. والوزير الإداري قرب ثقب الباب. إنه منتصف النهار الآن، بينما يسود الهدوء حولنا وكأنه منتصف الليل. لماذا؟

الدب : لأنني أحبك. لنذهب إليك.

الأميرة : فجأة بقينا وحدنا في الكون. انتظر، لا تزعلني.

الدب : حسناً.

الأميرة : لا، لا، لا تغضب. ***(تعانق الدب)*** ليكن كما تريد. يا إلهي يا لها من سعادة أنني اتخذت هذا القرار. وأنا الغبية لم أكن أدرك حتى كم هذا جيد. ليكن كما تريد. ***(تعانقه وتقبّله)***.

ظلام تام. ضربة رعد. موسيقا. يلمع ضوء. الأميرة والدب ممسكين بأيدي بعضهما يتبادلان النظرات.

سيد البيت : انظروا! معجزة، معجزة. لقد بقي إنساناً.

صوت أجراس بعيد، حزين جداً، يسكن تدريجياً.

ها هاها. أتسمعون؟ المنية تغادر على حصانها الأبيض، تهرب دون نيل مرادها. معجزة، معجزة. لقد قبّلته الأميرة وبقي إنساناً، والمنية تراجعت عن العشاق السعداء.

الصياد : لكنني رأيت، رأيت كيف تحول إلى دب.

سيد البيت : حسناً، ربما لعدة ثوان ويمكن أن يحدث ذلك لأي أحد في ظروف مماثلة. وبعدها ماذا؟ انظر: هذا إنسان، إنسان يسير في الطريق مع عروسه ويتكلم معها بهدوء. لقد أعاد الحب صَهره لدرجة أنه لن يعود دباً أبداً. يا لها من روعة. كم أنا غبي. ها هاها. اسمحي لي يا زوجتي، لكنني سأبدأ بخلق المعجزات في الحال كي لا أنفجر من فرط القوة. واحد! إليكم سلاسل من ورود حقيقية. اثنان! إليكم سلاسل من هريرات حية. لا تغضبي يا زوجتي. أترين؟ إنهم أيضاً يفرحون ويلعبون. هريرة أنقريّة، هريرة سيامية، وهريرة سيبيرية، لكنهم يتشقلبون كأشقاء بمناسبة الاحتفال. رائع!

سيدة البيت: صحيح لكن من الأفضل أن تفعل شيئاً مفيداً للعشاق. مثلاً تحول الوزير الإداري إلى جرذ.

سيد البيت : اسمحي لي. **(يلوح بيديه)**.

صفير، دخان، صرير، صأصأة.

انتهى. أتسمعين كيف يسخط ويصأصئ تحت الأرض؟ بماذا تأمريني أيضاً؟

سيدة البيت: جيد لو تُبعد الملك أيضاً. التخلص من حمو مثله هدية حقيقية.

سيد البيت : وهل هو حمو؟ إنه..

سيدة البيت: لا تتمّ في الاحتفال. هذا ذنب. عزيزي، حوّل الملك إلى عصفور. هذا ليس مخيفاً، ولن يكون منه ضرر.

سيد البيت : اسمحي لي! أي نوع؟

سيدة البيت: الطنّان.

سيد البيت : لن يسع.

سيدة البيت: إذاً إلى عقعق.

سيد البيت : هذا أمر مختلف. **(يلوح بيديه)**.

حزمة شرر. غيمة شفافة تمر عبر الحديقة وهي تتلاشى.

ها هاها. إنه غير قادر حتى على هذا. لم يتحول إلى عصفور، بل تلاشى كغيمة، وكأنه لم يكن.

سيدة البيت: وهذا يصلح أيضاً. لكن ما بال الأولاد؟ إنهم لا ينظرون إلينا حتى. ابنتي! قولي لنا ولو كلمة.

الأميرة : مرحباً. لقد سبق أن رأيتكم جميعاً اليوم. لكن يبدو لي أن هذا قد حصل منذ وقت طويل جداً. أصدقائي، هذا الشاب خطيبي.

الدب : إنها الحقيقة، الحقيقة المطلقة.

سيد البيت: نصدقكم، نصدقكم. أحبا بعضكما، وكذلك جميعنا أيضاً، لا تبردا، لا تتراجعا، وستكونان سعيدين لدرجة أنها ببساطة: معجزة!

- ستـــار -

١٩٥٦

الهيئة العامة السورية للكتاب

الطبعة الأولى / ٢٠١٤م

عدد الطبع ١٠٠٠ نسخة

www.syrbook. gov.sy
E-mail: syrbook.dg@gmail.com
هاتف: ٢٣٢١١٦٤
مطابع الهيئة العامة السورية للكتاب - ٢٠١٤م

سعر النسخة ١١٠ ل.س أو ما يعادلها